# هيلتون

سامي كمال الدين

الكتاب : هيلتون ( رواية )
المؤلف : سامي كمال الدين
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٠
رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٢١٦٤
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 014 - 0

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٠٢)- ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف: محمود ناجيه

رواية

# هيلتون

سامي كمال الدين



# ( ١ )

أثناء جلوسها في كافتيريا الطابق الأرضي بالمول، لم يكن هناك ما يشغلها، سوى المغني الذي صعد فجأة في الآونة الأخيرة، وكان يتراقص أمامها عبر شاشة التلفزيون، عندما بدأت تتأمل رقصاته وهو يروح ويجيء على المسرح بشكل أفقي مرة وبشكل رأسي مرة أخرى، رافضًا ترك مساحة للموديلز المحيطات به، كان يشبه الحاوي، الذي يحاول أن يسرق الشمس ويخبئها في كم قميصه ويمد يديه اللتين ظهرتا أطول من قدميه، كأنه قرد.

نعم أنه قرد...

على سرير أميرتها يبدو محني الظهر، يده أطول من قدمه، فمه كبير شفتاه منتفختان، وأميرتها تتلذذ ضاحكة، وكأنها لا تسكن ليلة عشق، بل تشاهد عرضًا ضاحكًا في السيرك القومي.

ما زال القرد يأخذ أشكاله الأفقية والرأسية أمامها على الشاشة، ونظرها متتبع لحركاته البهلوانية، ومبسم الشيشة في يدها، وفجأة باغتها هذا الرجل الذي لا تعرفه، هي معتادة على المعاكسات، ولكن ليس بهذه الطريقة السمجة، إذ أنه جلس في المقعد المواجه لها ولوحدتها واقتحمها هامسًا في أذنيها:

- أنا كمان بحب المغنى ده.. مش هو ده اللي اسمه عمرو حسني؟
- أنت مين؟ ومين سمح لك أصلاً تقعد قدامي؟.

ولكنه بكل صلف لم يرتدع من صوتها الزاعق، تمادى، أخرج كارتــه الشخصي مكتوبًا فيه اسمه ورقم هاتفه، وقد اعتاد على ذلــك مــع البنات، حيث يضع كارته الشخصي في حقائب هؤلاء البنات، أو يلقيه أمامهن ويهرول مسرعًا؛ حين ينفد الكارت الخاص به، يكتب اســمه ورقمه في ورقه، ويلقيها إليهن، ولا يعرف كيف واتته الجرأة علــى الجلوس أمام داليا..؟!

لم يعط فرصة ليفكر، فقط وجد أمامه عملاقين أمريكيين يرفعانه رفعًا ويقذفان به بعيدًا، ثم ينهالان عليه ضربًا بالأيدي وركلاً بالأقدام، ولم يتركاه حتى بعد أن أصبح مثل الشاة المذبوحة، إلا حين أحســا بــأن نبض الحياة توقف داخل جسده.

كانت داليا تتابع المشهد من بعيد، واضعة يدها على فمها، وعيناها متحجرتان بالدموع، وفى يدها كارته الشخصي الذي لمحت من بــين دموعها اسمه "هشام عبد الحميد"، وضعته في حقيبتها، ومشت أمام الحارسين إلى خارج المول في صمت.!

## (٢)

لم يكن هشام يعرف أن هذه هي النهاية لعلاقاتـه النسـائية، ففـي المسافة التي يقطعها سيرًا على قدميه من الجريدة التي يعمل بها في شارع قصر العيني وحتى مول هيلتون رمسيس لا شـيء يشـغله، سوى الطريقة الجديدة التي يبتكرها ليقتنص فرجًا جديدًا.
ليس مهمًا أن تكون صاحبته خضراء العينين أو سـوداء الشـعر.. وليس مهمًا أن تكون متناسقة الجسم أو كبيرة الأرداف، وليس هامًا على الإطلاق أن تكون خريجة الجامعة الأمريكية أو فتاة ليل خرجـت لترتزق.. المهم أن تكون امرأة تتفجر أنوثتها كـلَيل ِالفنـادق، وأن يصرخ كل شيء فيها مطالبًا بالإشباع.
إذن هشام يبحث عن المرأة السكس، باهظة الأنوثة، بكل ما يشتهيه حيوانه النهم الذي ما يلبث أن تنطفئ شهوته فيزداد طلبًا لها.. ليس مهمًا أن يأخذها ليضاجعها أو ليتعرف إليها.. فالحالتان سيان وغايته أن يحقق هدفه الذي طالما وهب نفسه إليه.

هشام يقضى نهاره صحفيًا حيث يعمل في جريدة "الصـوت الحـر"، وهي جريدة مستقلة استطاعت أن تكتسب احترام الناس فـي فتـرة بسيطة، رغم كل الانقلابات التي حدثت داخلها، بدءًا برحيل عضـوها المنتدب وصانعها الرئيسي، مرورًا برحيل رئيس تحريرها الذي قُتـل في جريمة غامضة، وتولى بدلاً منه أحد الذين دارت حولهم الشكوك

في أنه وراء مقتله، لكن لم يستطع أحد إثبات ذلـــك... ومثـــل هـــذه الانقلابات تبدو حياة هشام الذي وصل إلى السابعة والثلاثـــين مـــن عمره، وقابل ثلاثين فتاة تصلح كل واحدة منهن أن تكون زوجة له، لكنه عزف عنهن جميعًا، وعلى الرغم من سمرته وشعره المجعد، إلا أنه يحمل وسامة من نوع خاص، فوجهه متناسق الملامح، وعينـــاه تكشفان عن ذكاء حاد وجاذبية.. كما أنه يمتلك أسلوبًا جيدًا للتعـــرف إلى النساء، ويتحدث الإنجليزية بطلاقة، لذا فقد كاد يبكي حين هرول خلف فتاة أمريكية في شارع طلعت حرب ليقول لها "So beautiful" فردت عليه بالعربية:

كـــ....أمك !

"هيلتون رمسيس" هو الجزء الثاني من يوم هشـــام، فبعـــد متابعتـــه للتقارير الإخبارية واتصالاته بالمسؤولين في مجلس الوزراء ولقاءاته بالوزراء، إلا أنه حين تصل الساعة إلى الرابعة يلقي كل هـــذا وراء ظهره، فلا متعة تعلو على متعة الجسد..

يسير في شارع قصر العيني، يلقي بسهام نظراته مـــن كـــل حـــدب وصوب، يلمح نهدًا هنا وخصرًا هناك، فيتوقف نحو ربع الساعة أمام مسرح السلام يتتبع أرداف هذه، وخطوات تلك، وحين يلمح من بعيد سيارة أنيقة مقبلة وبها فتاة، وقد ملأت وجهها بمســـاحيق التجميـــل يسارع بإخراج كارته الشخصي من محفظته ويلقي به في حجرهـــا، وإذا ساءه حظه ووجد زجاج سيارتها موصدًا فيلقي به من الخـــارج بين الزجاج، ولا ينافسه في ذلك أحد؛ سوى مطاعم حضرموت..!

حين يصل هشام عبد الحميد الصحفي الناجح إلى الكشك أمام فنــدق هيلتون رمسيس، مرتديًا بذلة بدون رابطة عنق، مســتخدمًا عطــره الذي يتميز به "cartier"، والذي لا يغيره مهمــا جــد فــي أنــواع العطور، يلتقي أصدقاء ليله الدائم، الــذين يقيمــون أمــام هيلتــون رمسيس حتى الحادية عشرة مساء، حين يوصــد المــول أبوابــه؛ باستثناء السينما وماكدونالدز، اللذين يعملان حتى وقت متأخر مــن الليل. وقد التقى صديقه شادي اليوم ؛ الذي يحمــل وســامة كبيــرة بشعره الأسود الناعم وبشرته البيضاء وطوله الفارع.

لم يعرف هشام لشادي عملاً منذ تعارفا منذ سنواتٍ ثــلاث، فشــادي يعمل في أي شيء يخطر أو لا يخطر على البال، بدءًا مــن تركيــب كوالين للشقق وحتى مضاربات البورصة.

كان تعارفهما ذات ليلة، حين جمعت بينهما فتاة، كل منهما أعطاهــا رقمه، ولم يكن لدى هشام مكان، اتفقت مع شادي علــى أن يلتقــي الثلاثة عندها، حينها رفض شادي الذهاب إلى بيت امرأة لا يعرفهــا فلديه شقته الخاصة، فاز هشام بتلك الليلة التي تزيــد مــن رصــيد لقاءاته الغرامية، ودفع مضاعفًا عما دفعه شادي.

دخلا إلى المول، توقف هشام أمام كافتيريا الدور الأرضــي بــالمول معطيًا ظهره لمحل المجوهرات الشهير في مدخل المول، راحت عينا شادي تتطلعان إلى المكان الذي ينظر إليه هشام، سأله عما يوقفــه وعيناه تتابعان تلك الفتاة التي تجلس كما فارس على جواده، بوجهها المضيء بغلالة من نور، وسأل هشام عما به.

- هي دي اللي بدور عليها لأتزوجها.

- كل يوم تشوف واحدة وتقول إنها الزوجة المناسبة لك، وفى آخر الليل تكون معنا في الشقة

- بس دي مختلفة.

- هانشوف.

# ( ٣ )

خرير بول يتدفق من أعلى، بلزوجة تحمل رائحة الغثيان، تنهال على النائمين مؤرقين من السيارات التي تعوي طوال الليل، عمال حملتهم لقمة العيش من جنوب مصر إلى تحمل كل عذابات الدنيا حتى لو وصلت إلى حمام صباحي من بول الريس عطا.

عمال تختلف مهنهم من مبيض المحارة إلى مبلط السيراميك والنجار والحداد، إضافة إلى عدد لا يحصى من الفواعلية، تفرقهم المهن، ويجمعهم المكان، في بدروم عمارة دوحة ماسبيرو المجاورة لهيلتون رمسيس يسكنون، منذ جاءوا من الصعيد لبناء هذه العمارة.

وسط هؤلاء العمال يعيش عدنان الذي ينتهي من وردية عمله في الرابعة عصرًا، إذ يعمل موظف أمن على البوابة الخلفية للعمارة، وعدنان صعيدي مثلهم، لكنه درس بكلية التجارة جامعة حلوان، وطوال دراسته كان يعمل في هذه العمارة مساعدًا لمبيض محارة، يقيم في بدروم العمارة مع أقاربه الصعايدة الذين يترأسهم الريس عطا الذي يوقظهم في السادسة صباحًا بطريقته البولية المعتادة، ما إن يصحو من نومه ويصعد أعلى البدروم حتى ينهال خرير البول صيفًا وشتاءً، كان يوقظهم بركلة من قدميه، لكنه وجد في التبول منبهًا جديدًا ومختلفًا، خاصة حين يلامس قطع الكارتون التي ينامون عليها، يحقق لديه متعة من نوع خاص، يفتح فمه لأعلى، كأنه

سيبتلع السماء، ثم يقهقه بصوت مدوي، مستلذًا أكثر بفزعهم وهم يستيقظون، لذا يستيقظ أغلبهم من تلقاء نفسه قبل أن ينبهه البول.

الريس عطا رجل طيب، يحاول أن يصنع بهجته داخل عالم خاص به في قاهرة المعز، التي لا تعترف كثيرًا بأمثاله، القادمين من جنوب البلاد بملابس مهلهلة، والذين يبنون، ثم يعودون إلى بلادهم كما جاءوا.

شخص واحد لا يستطيع الريس عطا أن يمارس غلظته عليه، بل ويظهر له احترامًا كبيرًا، ذلك لأن عدنان ابتكر حيلة ذكية، منذ جاء ليعمل مع عمال التراحيل، فقد ادعى أن به مسًا من الجان، وأن كل من يؤذيه لن ينجو من عقاب الجان الذي ينام بجواره كل ليلة، وقد أكد هذا الأمر حين كان نائمًا ذات مرة، وأيقظه الريس عطا من نومه فقد نهض عدنان ممثلاً دور المذعور وأمسك برقبة الريس عطا الذي أخذ يصرخ، ولم يتركه إلا بعد أن تجمع كل عمال العمارة وأنقذوه من بين يديه، وتأسف عدنان للريس عطا وقبّل رأسه، وقال له إن هذا يحدث حتى مع أبيه في البيت، فهناك جني يسيطر عليه ويتلبس جسده، هذا الجني لا يستطيع أن ينام ليلة إلا في جسد عدنان متخفيًا من عمه ملك الجان، الذي قتل ذات يوم خلف بيت عدنان في الصعيد.

يرتدي عدنان بذلة كاملة، ومعها رابطة العنق المتميزة التي اشتراها أمس بعشرة جنيهات من أحد بائعي الكرافتات - بعد فصال طويل - من أمام كافيتريا "الأمريكين"، في أول شارع طلعت حرب، حيث يقف

الباعة محدقين يمينًا ويسارًا، في انتظار أي حملة غاشمة من رجال البلدية على متمردي الجلوس على كرسي البطالة، استعدادًا منهم للهروب ببضاعتهم قبل أن تصادر منهم عنوة.

حينما ارتداها عدنان، بدت لمن يراها أنها جاءت خصيصًا من باريس يدلف بها إلى مول هيلتون رمسيس، صاعدًا السلم الكهربائي، وفي يده هاتف نوكيا من نوع حديث، اشتراه بالتقسيط على ثلاث سنوات من المحل المجاور لبائع العصير بجوار الهيلتون، يضعه على أذنه مدعيًا أنه يتحدث، وحين تمر فتاة حوله يسارع بالنطق برقم هاتفه، ويزهو كثيرًا بأن هذه الحيلة نجحت أكثر من مرة، لكنه يحكي بمرارة ما حدث ذات يوم، حين وقف أمام مطعم ماكدونالدز في الدور الأخير في المول، ونطق برقم الموبايل بجوار امرأة سعودية، فقالت له:

- لا أحفظ أرقامًا.

فطلب أن يتحدث معها ويتعرف إليها ويعطيها رقم هاتفه، رفضت المرأة، فقد كان يمكن أن يحدث ذلك لو التقته قبل تلك اللحظة بخمسة عشر يومًا، حيث ستسافر صباح اليوم، طلب منها أن تعطيه رقمها السعودي، ليهاتفها إلى أن تزور قاهرة المعز ثانية.

قالت : لا شكرًا.. كافي التعارف هدا.

## ( ٤ )

جمعت "داليا" كل مميزات المرأة المصرية بجمالها وشخصيتها القوية وحسن التصرف في أي موقف تتعرض له، وزاد على ذلك تجربتها في بيروت، حيث قضت سنوات ثلاث تدرس علاقات عامة، وهناك تعرفت على الأميرة هناء وجاءت معها إلى القاهرة، وترأست طاقم السكرتارية الخاص بها، بل إنها تدير الأمور بشكل جيد في غيابها أفضل من ابنتها الأميرة جواهر.

سنوات ثلاث وداليا تقيم في الأدوار العليا من فندق هيلتون رمسيس، تعيش حياة الملوك، يعجبها كثيرًا أن ينظف الآخرون قذارتها، ربما يكمن العامل النفسي لديها في ذلك، فقد كانت في أيامها الفائتة تعمل بالمهنة نفسها -خادمة- ولكن لزوج أمها، يوم كانت تسكن بحي بولاق أبو العلا، ولم يكن يجول بخاطرها يومًا ما التطلع؛ مجرد التطلع فحسب؛ أن تسير بمحاذاة هذا المبنى الضخم، الذي يطل على النيل كأنه أسد حراسة، لا يريد لأحد أن يوقظ النيل في وجوده، وتذكرت كيف كانت تدعك بيديها فوط زوج أمها، وملابسه الداخلية الممتلئة بالبقع.. فسقطت دمعة من عينيها.

كثيرًا ما لازمت داليا حالة هيستريا من الدموع، حين تخلو إلى نفسها.. كلما تذكرت ذلك اليوم الذي نقلت فيه أمها إلى المستشفى، بعد سقوطها من السلم الخشبي، حيث كُسِرَت رجلها، فبعد منتصف

الليل هجم عليها زوج أمها كغول، وراح يفترس كل جزء في جسدها، لم تجد مقاومتها أو تهديدها له بجمع الجيران عليه، فقد أوثق يديها، ووضع لاصق على فمها، وأمسك رجليها بكل قوته، وغرسه فيها بكل صلابة، وظل يمارس معها الجنس بفظاظة ذكورية فادحة.

من يومها وداليا تتحسس شفتيها، ولكم تمنت أن تلتقي رجلاً يقبلها فقط.. لقد كرهت الجنس، إنها في شوق إلى القبلات فقط، بل إن اللحظات الوحيدة التي كانت تنتظرها، وهي تنظر من فتحة الكالون الخاصة بالباب الذي يربط بين غرفتها وجناح الأميرة، لحظات بدايات ممارسة الحب، وما إن تلقي الأميرة هناء جسدها على السرير حتى تهرب داليا بعينيها واضعة يدها عليهما كي لا تتذكر المأساة التي تعرضت لها.

من يتعامل مع داليا يدرك أنها نشأت في أرقى طبقات المجتمع، فمشيتها بحساب، وخطوتها بحساب، وحجم اتساع ابتسامة شفتيها بحساب.. فمنذ حدث ما حدث وداليا قررت أن يكون الحساب سابقًا لأي شيء..!

تبدو داليا أكثر أناقة من أميرتها في ملبسها وأسلوب حديثها الشيق، لكن لا أحد يستطيع أن ينظر إلى داليا في وجود الأميرة، وقد حاول ذات يوم المطرب الشاب عمرو حسني أن يداعبها، حين نهضت الأميرة لتتحدث في هاتفها المحمول في شرفة جناحها بالفندق، وحين قدمت وجدت عمرو يضع يده على كتفها، ويداعب خصلات شعرها السوداء، مما جعلها تصدر قرارها لداليا أن ترحل الآن.. ثم قالت له:

- لازم تفهم حاجة مهمة، وهي إن كل النجومية والبنات اللي بيجروا وراك لن يعملوا لك شيئًا.. فلا واحدة منهن تستطيع أن تشترى لــك سيارة "هامر" مثل التي أعطيتها لك، ولا الساعة الألماظ التي ترتديها الآن، ولا ملابسك التي اشتريتها لك في بــاريس حــين كنــا معًــا، وادعيت في الصحف أنك ذاهب لتصوير كليب جديد.

- بس...

- من غير بس، قوم عشان نفسي فيك دلوقتي.

- ولكني لا أريد الآن.

- ليست برغبتك يا حبيبي، أنا اللي أحدد امتى وإزاي، وأنا اللي أحدد متى تنهي رغبتك وتقذف ما تحمل.

رغم أن الأميرة هناء تكره عمرو حسني ولا تحــب الاســتماع إلــى صوته، يروق لها كثيرًا عمرو دياب و راغب علامة، لكن ما جعلهــا تحب عمرو حسني تهافت ملايين المعجبات عليــه، حركاتــه علــى المسرح، تستلذ كثيرًا وهى فوقه تمارس الحب كما تريد، ولا يستطيع أن ينهي رغبته دونها، فقد فعلها ذات مرة ولم يستطع ممارسة الحب مرة ثانية، فصرخت فيه:

- خلّي المعجبات بتوعك ييجوا ليروا رجولتك.

ثم أتت بحبة فياجرا وناولته إياها لتحقق رغباتها المشتعلة، وبعد أن أنهت شبقها قالت له: إذا أردت فاستخدم يدك، أنا مش عايزة تاني.

هذا هو الرجل الوحيد الذي كانت داليا تصر على مشاهدته من فتحة الفرجة حتى النهاية، محاولة إيجاد تفسير لما يفعل، وفــى عينيهــا

شفقة عليه، فهو يستطع أن يأتي بكل ما تمنحه إياها لو ركــز فـــي حفلاته وألبوماته وأفلامه، لكنه يجد متعة في ذلك.. متعة من وهم، لا يصنعها الفنان وحده، لكن يفعلها أيضًا زكي عبد الوهاب.

## ( ٥ )

لا شيء يخجل في حياة زكي عبد الوهاب، فهو رجل بدأ حياته من الصفر، حيث كان يبيع الحديد الخردة تحت رعاية أبيه في مدينة طنطا، وحاول بكل الجهد والعرق أن يحقق أحلامه وطموحاته فصار إمبراطور الحديد في مصر.. وأصبح اسمه علامة معروفة، وقد عاش زكي عبد الوهاب حياته كلها مخلصًا لعمله حتى وجد نفسه فجأة قد تجاوز الخامسة والأربعين، وراح شعره الأسود الناعم يتحول إلى خصلات بيضاء صارت تجذب العديد من النساء إليه.. فهو واحد من نجوم مجلس الشعب، وواحد من مشاهير ليل القاهرة، والأهم من هذا أنه الأقرب لسادة المصير في معيشتهم وطموحاتهم وأفكارهم، لا يستطيعون اتخاذ أي قرار دونه... لذا أصبح مصير مصر كله بين يديه.

رغم كل هذا فإنه لم يصادف المرأة التي يقتنع بأن تشاركه قلبه وأمواله وحياته، حتى التقى في إحدى زياراته للندن الأميرة هناء.. وقتها رآها فتاة عربية عادية تعد للدراسات العليا أو موفدة من قبل شركة لصفقة ما، لم يتوقع على الإطلاق أن تكون أميرة أو حتى متزوجة، فبشرتها البيضاء المشربة بالحمرة وشعرها الأسود الناعم الذي يتدلى خلفها كليل تائه، وجسمها المتناسق وملابسها؛ توحي لمن يراها في نهار لندن أن لاشيء في حياتها سوى العمل.

كانت الأميرة هناء قد ضلت الطريق مــن الحــرس الخــاص بهــا، وخرجت من الباب المطل على الشــارع الخلفــي لمبنــى هــارودز، وعبرت إلى عدة شوارع، وراحت تسأل طريق العودة، وتقدم منهــا زكي عبد الوهاب ودلها على الطريق، طريقه هــو، جــذبها بأناقتــه وبصوته الهادئ ونظرته القوية، وبعد تبادل أرقام التليفونات وعدتــه باللقاء في مصر.

ومضت سنوات ثلاث على هذا اللقاء، وزكي يلتقيها كل خميس فــي كافيتريا هيلتون رمسيس بالطابق الثالث والعشرين.

يأخذ السائق السيارة الــ" بى ام دبليو " -إحدى سياراته التي يعتــز بها كثيرًا- إلى ساحة الانتظار، أو يعود إلى البيت لأن البيه ســوف يقضي ليلته في جناح خاص بالفندق تحجزه الأميرة باسمها حتــى لا يتعرض أحد لسمعة النائب الشهير ورئيس إحدى لجان مجلس الشعب يقضي ليلته معها في شراب وحب، ولكم كان يتمنى أن تكون زوجته؛ لذا تضايق كثيرًا حين عرف أنها متزوجة، بل من واحد مــن أكبــر أمراء الخليج، لكن هذا الأمر أراحه كثيرًا، فلم يعــد مهتمًــا بــإدارة الصفقات، ولا السعي وراء الربح، فكل ما يريد من ملايــين الأرض يجدها تحت رجليه، فقد أحبته الأميرة هناء، ومن تقع فــي غرامــه تمنحه عمرها، رغم أن أغلب مشاهير المجتمع تحت قدميها.. لكنهــا كانت بحاجة إلى رجل يضرب شواطئ نهديها بعنف، ويبتلع جســدها النائم في محارته دون رجل يوقظه من سباته.. وقد اســتطاع زكــي عبد الوهاب ؛ الذي لم يكن يميل إلى النساء، اختراقها كسيف وإشعال نيران اللذة في جسدها.

كانت الأميرة هناء تبحث عن رجل لا يبحث عما ستمنحه له من نقود أو سيارة أو شاليه بعد مضاجعتها، رجل يضاجع أحاسيسها قبل جسدها، يسكن روحها قبل سريرها، وقد وجدت في زكي عبد الوهاب هذا الرجل، الذي رفض كل إغراءاتها في البداية، فهو ليس بحاجة إلى أموال امرأة مثلها، كما أنه استطاع من خلالها أن يبسط نفوذه على منطقة الخليج ويصبح المصدر الرئيسي للحديد فيها، بل وراحت الأميرة هناء تنشئ له شركة في كل دولة عربية، ليصبح زكي عبد الوهاب الإمبراطور العربي للحديد.. وتفعل هي في مصر ما تريد، فبمهاتفة صغيرة منه ينهي لها كل شيء.

كانت داليا تعرف كل هذا، لذا لم تندهش حين فتحت باب حجرتها ووجدت هذا المنظر الغاية في الغرابة؛ حيث كان زكي عبد الوهاب يجلس عاريًا على كرسي التسريحة، بينما تجلس الأميرة هناء عند قدميه وفمها بين فخذيه مولعة بالرغبة والشبق إلى حد الجنون.

## ( ٦ )

زهرة تتفتح لرسام غير معروف، معلقة على حائط لم يره هشام من قبل، ووجهان يشبهانه كثيرًا لم يرهما في نهاره أبدًا.. يتأملانه بعطف وعلى الشفاه ابتسامة خجلة من حياة تعيشها أجساد بلا هدف سوى البقاء لسويعات في ليل القاهرة.

خرجت آهة متوجعة من بين شفتي هشام، فإذا بشفتي عدنان تحمد الله على سلامته طالبة منه ألاّ يقلق، بينما تساقطت دمعتان من عيني شادي، صمت هشام ولم يتساءل عن مكان وجوده، فهو يعرف ما فعل في ليلته الفائتة، كما أن ألم الوجع الجسدي أقل بكثير من أنين القلب المهزوم بحياة تختاره كل يوم، دون أن يشارك ولو لمرة واحدة في اختيارها، أو أن يجد من يشاركه أحزانه، حتى أنه نهض طالبًا من صديقيّ صدفة العلقة الساخنة الصمت، حين طلبا منه أن يتصل بأهله لكي يطمئنوا على ابنهم.

تساقطت من هشام دمعات غير عابرات باحثة عن أبيه الذي مات وتركه صغيرًا مع إخوته في قرية الجبيرات في محافظة الغربية، دارت في خلده ذكريات عصيبة، وكأن هشام كان بحاجة لمثل هذا المشهد ليقف مع ذاته فظل يردد : ( كنت بحاجة إلى حياة.. إلى يد قوية أحملها وأدافع بها عن نفسي، فقد عشت حياة ضائعة، لا شيء فيها سوى أمل يتيم يحملني بأن أكون...

الكينونة كانت كل شيء بالنسبة لي، بل كانت هدفي في الحياة، كنت أبحث عن فعل من أفعال الحرية، عن حاجة تغطي عريِيّ، فقد نشأت في قريتنا بمحافظة الغربية يتيمًا، ضعيفًا، لا حيلة لي. كان الناس يسبونني ويضربونني كلما جاءوا وكلما راحوا، ليس لشيء سوى أني يتيم الأب ولا عائلة لي، وأمي امرأة قليلة الحيلة..

مازالت ذاكرتي تذكر ذلك اليوم جيدًا، حين تشاجرت مع ابن جار لنا.. ثم جاء أبوه وأخذ يضربني وأنا أجري أمامه،وهو يقذفني ذات اليمين وذات الشمال بيديه الغليظتين.. بينما ابنة عمى تقف فرحة سعيدة بدموعي وعذابي.

كان اليوم جمعة وكنت مرتديًا ذلك الجلباب الأبيض –أفضل ما عندي– وقد مزقها سعيد ابن جارنا هذا، فقد أمسك بي من صدرها فضربته بالقلم الذي رد لي عشرات الأقلام، ولم يتركني هذا الرجل القاسي إلا حين سقطت على الأرض فاقدًا للوعي ولم أحس بشيء بعدها.

كلما تذكرت هذه الحادثة أصر على التحدي، أن أقول: لا للظلم والاضطهاد في العالم كله.. لذا عملت بالصحافة لسنوات تحت التمرين، أبحث عما أقوله، عن ولادة حقيقية لكلمة شريفة غير مغموسة بالذل والعار.. عملت مع عشرات المدعين من رؤساء تحرير لا هم لهم سوى جمع الأموال والسلطة، وركل كل القيم بأقدامهم، فقد كنت أستعير الصحف من زملائي وأنا أدرس في كلية دار العلوم وأقرأ لأحمد عبد اللطيف، ذلك الكاتب الذي حفر مساحات من الحرية بكلماته، وجعل هذا الوطن بستان حرية وليال من الأمل

بعد ظلامها في عينيّ، كلماته تحملني إلى هناك.. إلـى عـالم مـن العدالة الاجتماعية، وكدت أبكي حين استمعت عبر الراديو الصـغير - الشيء الوحيد الذي امتلكته في حياتي حيث أهداه لي خالي الـذي يقيم في ليبيا حين عرف بنجاحي في الثانوية العامة - إلى أحمد عبد اللطيف يتحدث بفخر؛ كيف كان أبوه البسيط الذي علمه يصر علـى عدم إدخال المال الحرام إلى بيتهم، وسمعت لأول مرة أسـماء مثـل لينين وثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ والحرية وقيمة القلم، من أحمد عبد اللطيف... كدتُ أبكي، بل بكيت طوال استماعي للإذاعة، وهو يتحدث عن نشأته التي تشبه نشأتي كثيرًا.

بل لا أخفيكم سرًا إذا قلت أن أول صحيفة اشتريتها في حياتي كانـت صحيفة "الغد المشرق" التي يترأس تحريرها ويمتلكها.. بل ومن أجل كلماته قاطعت المنتجات الأمريكية والإسرائيلية، وحتى الآن حين أرى زجاجة كوكاكولا أو بيبسى أمامي أحس بالغثيان... كان يكتب:

" قاطعوهم.. ولا تخونوا الوطن..الوطن بحاجة إليكم أنقياء وأقوياء.. ألقوا بما يصنعون على الأرض حتى تعرف أياديهم الغارقة في دمائنا قيمة الجرم.. إنهم يسبون الإسـلام ويدوسـون القـرآن بأقـدامهم ويركلون أمهاتنا في فلسطين... قاطعوهم لأجل الدم العربي الطـاهر المراق من الأرض إلى السـماء، ولا تهنـوا ولا تتراجعـوا، فهـذه الأرواح الطاهرة ستدعوا عليكم، ستتهمكم بالمهانة والخيانة والمذلة"

وفي لقائي بالأستاذ أحمد عبد اللطيف أدركـت لمـاذا خـرّ موسـى صعقًا!... حين امتدت يده لتعانق يدي، تغرغرت عينـي بالـدموع،

وتوقفت الكلمات في فمي.. أردت الانحناء على يده وتقبيلها؛ تقبيل اليد التي تكتب هذه الكلمات والتي تهبني القوة لأعيش، وحين وافق على أن أتدرب في صحيفته عزمت أصدقائي في الجامعة على عشرة "ساندوتشات" فول وطعمية، وظللت أسبوعًا بلا مصروف.

كنت حين أدلف إلى صفحات الجريدة أشعر وكأني أطرق أبواب المجد، كانت قامتي تطال السماء، وفوجئت بإعجاب الأستاذ أحمد عبد اللطيف بأول تحقيقاتي، وكان عن رد فعل الشارع إزاء ما يفعله شارون في غزة، ولا أنسى ابتسامته المرسومة على وجهه الأسمر كصليب ذهبي، إذ أعجبه التحقيق، لكنه انتقد الحماسة الزائدة في قلمي، وتعجلي بالكتابة، كما انتقد لغتي الشاعرية، قال لي إن القارئ سيعتقد أنك تتفلسف عليه رغم أنك غير ذلك.

وأخذت التحقيق وكتبته مرة ثانية وثالثة، رغم إحساسي بأنه لن ينشر، ولكني فوجئت به منشورًا في الصفحة الثالثة، أهم صفحة في الجريدة بعد الأولى والأخيرة، مع تنويه له في أعلى الصفحة الأولى.

حملت الجريدة إلى أمي حين سافرت إلى قريتنا يوم الخميس، وقرأته لها كلمة كلمة، كنت أنظر إلى عينيها وعينيّ أختي المحملتين بالفخر والإعجاب.. كانت نظرات التشجيع من أمي تجعلني أشق عنان السماء، لكن المصيبة الكبرى التي لم أنتبه لها في غمرة الحماس وتحقيق الذات، حين عدت إلى الجريدة ووجدت الأستاذ أحمد عبد اللطيف منحنيًا أمام الجريدة على ابنه ويفتح له كيس شيبسي، وابنه يمسك بزجاجة بيبسى كولا، وزوجته ترفع زجاجة أخرى إلى فمها..

تصلبت قدماي في الأرض، راحت عيناي تستعرض سلسلة مقالاتــه المطالبة بالمقاطعة، لم يعرني الأســتاذ انتباهــه، دخلــت الجريــدة بظهري، عبرت إلى البوفيه لأبلل ريقي ببعض الماء، تصلبت قــدماي مرة أخرى، حين وجدت صناديق الزجاجــات الممتلئــة بالمشــروب الأسود والمكتوب على بطنها: بيبسى كولا.

وكان الدرس الأول في حياتي أن للكاتب وجهين، كما العملة تمامًــا، واحد للكتابة وآخر للحياة، واحد للصدق وثان للزيف، واحد للعدالــة والحرية، وآخر للتلون والتمتع بالحياة كما يشاء..

تركت الجريدة إلى غير رجعة، على الرغم من التنبؤ بمستقبل مشرق من رئيس التحرير، ورغم كل "اليوتوبيا" التي عشت فيها.

## (٧)

لكم ضحكت من الأعماق، كما أعجبت من الأعماق بشخصية الأستاذ أحمد عبد اللطيف، علمني الرجل كيف أسـرق النـار، كيـف أزرع غيطانًا من نباتات الحرية، عرفت الشرف والنبل من عصير كلماتـه، وكنت أشعر أن طقوس كتابته الوضوء قبل الإمساك بالقلم، والأروع من هذا كله أنني لم أستطع التعلم منه بأن أكون ممثلاً كبيرًا !.

في اليوم الذي قرأت فيه مقاله عن جمال عبد الناصر وعن القوميـة العربية وعن لم شمل العروبة والوحدة يا عرب، رأيته عبر فضـائية عربية يدعو إلى كل ما هو ضد الوحدة، لا لشيء سوى أجولة مـن الدراهم والدنانير.. الممثل الكبير يـؤدى دوره الآن علـى المسـرح ببراعة، يتعلم منها أساتذة المسرح في العالم كلـه، حـين هـاتفني صديقي معد البرنامج ومنسق الحلقة، وحكى لي كيف تم الاتفاق مع الأستاذ أحمد على ما سيقوله، وكيف أطال الفصـيل ليزيـد تثمـين كلامه، لم أندهش، فصدمة الخيانة الأولى تفوق كثيرًا كل الخيانـات التالية.

ظللت عامًا كاملاً لا أعمل بالصحافة، قررت البحث عن مهنة أخرى، أن أعمل مزارعًا أجيرًا كما كان أبي –رحمه الله– أو أعمل فاعلاً في المعمار مع عمال التراحيل، لكني كنت أبحث عن ضياع من نوع آخر تيه تذهب فيه دون عودة إلى أمس... رحت أعيش حياة الليـل فـي

قاهرة المعز، ولم يكن ليلها يصلح بلا نساء، فـإذا جـاءت الرابعـة صباحًا، رحت أعب الليل في صدري، أتلفت حولي، واجهات المحلات صماء، الأرصفة صدئة، الرائحة عطنة، لكن حين يبدأ ليـل القـاهرة وتتمايل فيه النساء، تتحول واجهات المحلات لمرايا وتضيء المولات بالبهجة، وتتحول الأرصفة إلى سيمفونية لا بطل في عزفهـا سـوى أقدام النساء.

أقمت غراميات مع النساء ومع أقدامهن، وتعرضت لإهانات لا حصر لها، مشيت ذات مرة وراء امرأة شبه عارية بعد الواحدة صباحًا في ميدان عبد المنعم رياض، أعرف أنها راقصة، ولكنـي حـين قمـت بمعاكستها ادعت العفة، فقلت لها:

- ما تعمليليش خضرة الشريفة يا روح أمك.

وفوجئت وأنا أنطق "روح أمك" برجل ترفعني من الأرض عدة أمتـار وتقذف بي في وسط الميدان، لم ألحظ أن رجلها قادم خلفي، وحـين وقعت إلى الأرض وشاهدته عن بعد لم أستغرب قوة ركله قدمـه، إذ لم أستطع أن أتبين طوله من عرضه، كل ما استطعت فعلـه أثنـاء قدومه تجاهي مسرعًا الجري بأقصى سرعة، ولـم أتوقـف إلا فـي ميدان رمسيس.

وهكذا عدت مرة أخرى للقهر، ولكنه قهر بفعل فاعل، هو نفسي هذه المرة، فأنا لا أحس بمتعة الليلة إلا إذا تعرفت إلى امرأة، بل وحـين تهينني واحدة منهن أضحك من كل قلبي.

لكنى بالأمس لم أضحك، فقد كنت أرى في هذه الفتاة المرأة/المثال، المرأة/الحب، المرأة/الحياة.

أحسستها مختلفة عن كل امرأة عرفت، وكل جسد تعرى أمامي، هي الوحيدة التي أريد الزواج منها، فعلى الرغم مــن عشــرات النســاء اللواتي تعريت معهن، إلا أنى لم ألج امرأة منهن في طيلة حياتى.!

رغم عشرات النساء اللواتي التقيتهن، إلا أني أرفض الزنا.. أخافــه كثيرًا.!

ذات مرة حاولت امرأة في لحظة نشوتها أن تولجــه داخلهــا وهــي متشبثة به بكل إصرار، وبكل ما أملك من عزيمة وإصرار قلت يا رب خلصني من مأساتي، فقد كانت النشوة بالنسبة لي مأساة وخجل حين أقف لأصلى بين يديّ الله.!

أستغرب نفسي كثيرًا حين أغدو وأجيء خلف النساء في مول هيلتون رمسيس، وحين أستمع إلى أذان صلاة العشاء أركض لأتوضــأ فــي حمامات المول ثم أدخل لأصلي جماعة.. أستغرب نفسي لأنــي لــم أستطع التخلص لا من النساء ولا من الصلاة.. وأجمــع النقيضــين وغيرهما من متناقضات الحياة.

## (٨)

اثنان أعطياني الأمل في أن أتخلص من تناقضـــي، وأن أعــود إلـــى الصحافة مرة أخرى.. امرأة أحببتها، ومجدي مهنا.!

- ما الذي كنت أبحث عنه ؟

صدقني لا أعرف يا عدنان، لكني كنت بحاجة إلى حب، هذا ما عرفته بعد ما عشت واحدة من أروع قصص الحب في حياتي.

كانت نهال امرأة لا تشبه النساء، ولا تشبه البشر في شيء، كـــائن نوراني تحول إلى بشر.. خلقت قبل النســـاء بكثيـــر، كأنهـــا ليليـــت الأسطورية، بعينيها السوداوين المشـــعتين وأنفهـــا الـــدقيق وفمهـــا العصفوري وجسمها "الباليرينا" وشغفها بالحياة.

مصادفة وحيدة غيرت مقادير حياتي حين نمت في سيارة ميكروباص وصحوت فجأة متوقعًا أن محطتي مرت، ووجدتني أمام دار الأوبـــرا، فإذا بها أمامي وفى عينيها بعضٌ من صلاة، شعرها الهـــادر خلفهـــا كحصان بري يلهث بحثًا عن مصير، قررت كعادتي التحدث إليهـــا.. حاولت كثيرًا، ساعة كاملة، وهى تعبر شوارع وسط البلد وأنا خلفها حتى وقفت أمامها، عرّفتها بنفسي مـــدعيًا أننـــي أكتـــب برنامجًـــا تليفزيونيًا، وأبحث عن وجوه جديدة.

بكذبة إذن بدأت أروع قصص حبي، بل وأوحدها..

راقت لها الكذبة لأنها كانت قد انتهت لتوها من بروفة في الأوبــرا حيث تحاول أن تحقق مجدها بصوتها.. وهنا ألححت عليها أن تغنـــي لي، وجلسنا في كافيتريا الأوبرا، كان صوتها أرق من زقزقة عصفور جميل، وهدير ماء نهر يلحن تغريده على سيمفونية الطبيعة الخالـــدة صاحيًا من نومه.

عرفت معها شوارع ليس لها أسماء، ومقاهٍ لا تمنح الغرباء أريحيتها بسهولة، عرفت معها أن الحياة تستحق أن تعاش مرة أخرى. كانـــت امرأة "تشبه المستحيل إلا قليلا".. قليل من بحثها عن نفسها وعــن حياة مدهشة تملؤها الشهرة والبريق.

وفى لقاء طلبت منها أن تحدثني عن حياتها، وأنه لا يعنيني إلا يــوم أن عرفتها، فلست أنا من يحاسب فتاة على ماضيها، كنـــت أقنعهـــا بمبادئ لا أؤمن بها، وأفلسف كلامي بنظريات وقصص حب شـــهدها التاريخ، راحت تحكى لي عن تجربتين مرت بهما في حياتها، التجربة الأولى مع قائد أوركسترا شهير أقنعهـــا بالوصـــول إلـــى المجـــد إذا وصلت إلى عتبات بيته، وتم الاتفاق بينهما على العـــودة بعـــذريتها وكان على قدر اتفاقه، عرفها على عالم المشاهير من خلال سهرات الكازينوهات العائمة، وراح يلتقط لها صورًا مع كل المشاهير، بينمـــا تستمع بأذنيها لكلام أصدقائه وصديقاته عن العصفور الجديد الـــذي وقع في القفص، وعن الفنان الذي لا يستطيع أن ينام الليـــل دون أن ترتكز امرأة على ذراعيه في شقته بالزمالك، راحت تتغاضى عن كل هذا، وتتحمل أنفاسه اللاهثة وهو يروح ويجـــيء فوقهـــا كمراهـــق

صغير، راحت تتحمل قشعريرة جسدها وهو يجلس بين فخذيها يلوكها مثل قطعة أفيون، تحملت كل شيء معه حتى قبلاتـــه علـــى دبرهـــا ومحاولاته الفاشلة لاغتصابها من الخلف.. كانت أنفاسه السكرة كـــل ليلة تصيبها بالغثيان، لذا قررت الشراب حتى تنســـى رائحـــة فمـــه وتنسى طريق الآلام الذي وضعت قدميها عليه.

عام كامل بين قبلات واشتهاء ووعود، وفجأة ملها القرصان فـــألقى بها على أعتاب بابه مطالبها باللجوء إلى شوارع الزمالـــك الســـاكن ليلها والنائم ظلامها كأسد عجوز.

الرجل الثاني في حياتها كان في بداية الأربعينيات من عمره، يعمـــل مساعدًا لواحد من كبار المخرجين في مصـــر، وقـــرر أن يخـــوض تجربته الأولى في الإخراج بإسناد دور البطولة إليها، هكذا البطولـــة مرة واحدة، وراحت من تجري وراء لا شيء سوى ذلك البريق الذي يبدو كالسراب، تملأ كأس الحب مرة أخرى، وجدت نفسها هذه المرة في شقته في شارع عدلي وسط البلد، عام كامل أيضًا قضـــته بـــين جدران بيته، مع الشراب راحت تدخن لأنه يدخن بشراهة، ورائحـــة السجائر تصيبها بالغثيان، وعلى الرغم من إحساسه بذلك، ومحاولاته استجوابها إن كان التدخين يضايقها، لكنها أخبرته أنها لـــن تضـــايق الرب الرخامي في شيء، راحت تأخذ السيجارة من بين شفتيه، وهى الجالسة بجواره على سرير الحب، منشدة كلمات نزار قباني:

( دخن فإن تدخينك يغريني

ما أروعك من رجل في لحظة تدخين)

ترك لها كل شيء في حياته لتتحكم فيه: شقته، محفظته، وسـجائره وأنواع أكله، حتى أنواع الجبن التي يتناولها في الصباح، كان يعرف بحثها عن رجل تنظم له أشياءه.

وفي ليلة قدم لها هدية عمرها، عقد بطولـة لفيلمـه الأول "امـرأة العاصفة" ووقعت على العقد، ووقع هو على كل شيء... منحته كـل جسدها دون تردد، ردًا لجميل لم يتم بعد، وظل لأشهر ثلاثة يعب من فتنتها، ثم ألقى بها على أرصفة وسط البلـد بعـد أن مـزق العقـد الوهمي، وبعد أن سحب كل اعترافاته للجميع بأنها حبيبته ومشروع زواجه المقبل.

تأخرت كثيرًا في اكتشاف حقيقته، على الرغم من سماعها أكثر مـن مرة لآهات امرأة أخرى في مكتبه أو شقته، إلا أنها لم تجرؤ يومًـا على الدخول إليه في صلاته الجنسية، لأنها كانت تعلم مـدى شـبقه بالنساء وولعه في هذه اللحظات التي يشبه فيها المدمن الذي وجـد جرعته.

حين صرخت فيه مطالبة بثمن شرفها، ألقى لها بألفي جنيـه وهـي على السلم:

- روحي اعملي عملية ترقيع بـ٣٠٠ جنيه، والباقي علشانك.

## ( ٩ )

تاهت كثيرًا في شوارع القاهرة حتى وصلت إليّ، أنا الذي أدعيت بأني القديس الذي يغفر أخطاءها الماضية، ولم أرحم دموعها وهى تحكي ليّ، هويت عليها بعدة صفعات، لقد أحسست أنها دمرتني، فلم أحب في حياتي امرأة مثلها، ولطالما حلمت بها زوجة وأمًا لأولادي.
"سأسمى الولد يوسف والبنت جنى"، هكذا قلت لها ذات مرة، وأضفت أن الولد والبنت يجب أن يكونا شبهك وأن يحملا مساحة الطهر التي تحملينها.

أسبوعان لا أراها ولا أهاتفها، لكني كنت معذبًا ليالٍ وأيام أحتسي دموعي وأوصد أبوابي على نفسي، ظلت الدنيا سوداء في عيني، إذ خرجت إلى الشوارع أنتف شعر رأسي بشكل عصبي.
وذات يوم استمعت إلى صوت أصالة تغنى:
( مابقاش أنا

لو مارجعتش ليا بقلبك تاني هنا
لو ماحلمتش إن الثانية فـ بعدي سنة
لو ما أمنتش إن الجنة فـ حضني أنا
مابقاش أنا ).

هرعت إلى الهاتف وألححت عليها، وعدنا، وعدتها بغفران كل شيء في حياتها، أن أسامحها، وكثيرًا ما لمت نفسي أمامها، فالزمن

والوحدة والضياع كانت أكثر قسوة عليها وهى السبب فيما وصلت إليه، كنت بحاجة إلى حضنها كطفل أضاعه أبواه، ورحت أنام في حضنها في حفلات السينما المتأخرة، فليس معها في البيت سوى أمها المتزوجة من رجل آخر لا يفيق من دخان حشيشه، وأبيها الذي لا يراها سوى مرة كل عام حيث يعيش مع امرأة أخرى.

وبعد إلحاح طويل اعتادت قدماها على شقتي الرديئة بأثاثها، إذا كان فيها ما يصلح للتسمية بهذا الاسم، لعلها المرأة الوحيدة التي ولجتها في حياتي، فقد عاهدت الله أمامها وأمام نفسي بأنها زوجتي.

ظللنا عامين في وداع وفراق، ووله وبعد، حتى تسرب الملل رويدًا رويدًا إلينا، لكنها لم تنتظر أن ألقي بها على رصيف الحياة، فبيتي لا يختلف كثيرًا عن الرصيف، فهو عارٍ من كل شيء ما عدا الحب...

ولا أعرف أين ذهبت؟ ظللت عامًا كاملاً أبحث عنها، حتى عرفت أنها تغني في ملهى ليلى بالفيوم، تحديتُ كل شيء وذهبت إلى هناك بمفردي، بحثت في كل ملاهي الفيوم حتى عثرت عليها من صوتها، ووجدتها ترتدي فستانًا عاريًا يكشف عن نهديها اللذين مازالا يحتفيان ببهجتهما رغم لمسات الحياة القاسية. هجمت عليها وصفعتها على وجهها وسحبتها من يدها، لكني لم أدر بنفسي إلا ثاني يوم في شقتها بالفيوم، مكوم كجوال، فقد كانت بينها وصاحب الملهى قصة غرام طويلة، ومن ثم أشار إلى رجاله بالإشارة المتفق عليها.

ووجدتها تحاول تضميد جراحي وتبكي... كانت تبكي لأنها أضاعتني وأضاعت نفسها. ثم عادت معي إلى القاهرة، وبعد محاولات عديدة

بأن ترجع عن هذا الطريق قررت الذهاب إلى جدتها في الشرقية والإقامة عندها، قمت بتوصيلها بنفسي إلى هناك، وكان الأكثر دهشة ارتداؤها الحجاب وابتعادها عن هذا المجال نهائيًا.

وبعد عدة سنوات عرفت أنها تزوجت من ضابط وتعيش حياتها في هدوء وصمت.

لكنى كعادة الشيطان الساكن داخلي ذهبت إليها في شقتها كثيرًا.. حيث كان زوجها لا يبقى معها سوى عشرة أيام، وراح ينتابني الملل كعادتي.. رحت أبحث عن نفسي التي أجدها معها، لكن وجدتني أهرب من نفسي في وجودها، لم تعد المرأة الحلم، لكنها أصبحت المرأة التي تخون، ورحت أتصور نفسي زوجها ورجل آخر سواي ينام في سريري معها.

إحساس واحد تسرب إلى نفسي: الاحتقار..الاحتقار لها ولزوجها ولنفسي، وراح ضميري يعذبني، فأنا الذي حولتها إلى زوجة تخون زوجها، ولو كنت أبقيت على حياتها معي، لما وجدتني أهيم في الشوارع بحثًا عن جسد يشبعني وينهي عذاباتي، لكن عذاباتي لا تنتهي، ففي كل ليلة أبحث عن عذاباتٍ أخرى، وأجساد كالشقق المفروشة يسكنها كل ليلة زائر جديد.

غيرت رقم هاتفي وعدت إلى صلاتي، حاولت أن أنجح في عملي بكل الطرق، حتى صدرت صحيفة "الصوت الحر"، وانضممت إلى كتيبتها، أحاول بكل الطرق أن أحفر اسمي ومكانتي من خلالها، وحين أتوقف عندها أحس بأن هذه الصحيفة كانت سفينة الإنقاذ بالنسبة لي في حياة لا شيء فيها يدعو إلى الحياة.

## ( ١٠ )

من عادة هشام أن يتجاهل المكالمات التي لا يظهر رقمها على هاتفه المحمول، ليس لأنه يرى نفسه شخصية مهمة، ولكن لأن له صديقًا يقيم في أوروبا ويتحدث لساعات عبر الهاتف دون هدف سوى التخلص من وحدته، بينما كان هشام بحاجة إلى يد قريبة منه تخلصه من وحدته القاتلة ومن عذابه اليومي في قاهرة المعز التي يتوه في شوارعها كل ليلة، ولا يدري لماذا قرر أن يرد على هذا الهاتف، ولا يدري كيف عرف أنه ليس صديقه:

- ألف سلامة عليك
- الله يسلمك
- من معي؟
- داليا

لم يكن يعرف اسمها، ولكن صوتها كان كافيًا ليخبره بالأمان، ويعلمه بوجود الراحة الأبدية لحياة كلها ملل وعذاب وصمت، ولم يعرف ماذا يقول لها؟

تركها وهي تحاول الاعتذار له بعدة كلمات، وراح يقول لها:

- لا تعتذري يا سيدتي، فأنا بحاجة إلى الاعتذار إليكِ على تأخري في لقائك، وعلى ضياعي لأيامي في أشياء تافهة، لم أكن أعرف أن السعادة تسكن مول هيلتون رمسيس، وأنني سأجد ما ظللت أبحث

عنه طوال سنوات حياتي كلها... آن الأوان للعصـفور المسـافر أن يستريح فقد وجد عشه، وآن لليالي المظلمة أن يظهـر فيهـا قمـر ليضيء تلك العتمة البرية التي ظلت تسكنني لستة وثلاثين عامًا.

- هذا يعنى أن عمرك ٣٦ سنة، مع أنك تبدو أصغر بكثيـر.. هكـذا قالت ضاحكة ثم أردفت: لا أعرف إن كان لقاؤك لي سببًا لسعادتك أم لتعاستك، فقد ظللت بسببي ثلاثة أيام ترقد في المستشفى، وهذا دليل تعاسة وليس دليل سعادة.

عَرَفَ أنها كانت تتابعه وتتحسس أخباره، لم يحاول أن يسألها عـن دليلها، لكنه سألها عن موعد، فوعدته باللقاء، حاول الحصول علـى هاتفها، فلم تزد على وعد بمهاتفته ثانية وأغلقت الخط.

هل يظل هشام مسكونًا بالبحث عن النساء بعد هذه المهاتفـة التـي أحس معها أن الله يحبه كثيرًا، فقد هداه إلى الصواب والراحـة مـن العذاب؟... راح هشام يسأل نفسه:

"صوتها يشبه الملائكة، رغم أن أيًا من الملائكة لم يرفع السـماعة ويهاتفني قبل ذلك... ووجهها يشبه الملائكة، رغم أني لم أر الملائكة قبل ذلك، وأي من البشر لم ير الملائكة لكن حين يعجبنا شيء بريء نشبهّه بالملائكة، فهل أحكي لهذا المـلاك قصصـي وحيـاتي التـي قضيتها من علبة ليلٍ إلى أخرى، على الرغم من أني لا أشرب الخمر وأحترم المحجبات والمنتقبات، وعلى الرغم من أن بنات الليل اللواتي عرفتهن كان عدد المحجبات منهن أكثر من عدد غيـر المحجبـات، وعلى الرغم من أني لا أترك فرضًا وفعلت كل شيء أعتبره طيبًا في

حياتي، وتعاملت مع أرقى الناس وأحطهن، هل أنا بحاجة إلى طبيب نفسي؟!.. ربما!

لكم تداخلت حياتي الخاصة بحياتي العملية لدرجة أنـي حاولت أن أكتب تحقيقًا صحفيًا عنوانه " قوادون وليسوا بوابين"، فقد علمتني شوارع وسط البلد أن أعرف نوعًا من البوابين استطاعوا استغلال الغرف الخاصة بهم؛ حين لا أجد مكانًا، ومازلت أذكر كيف أعترتني الحَيرة وصديق لي حين لم نجد مكانًا ولا حتى امرأة، فقد وعدتنا أم تفاحة - قوادة وسط البلد الشهيرة، والتي نذهب إليها حين نحتار - لكنها كانت قد وزعت بناتها في تلك الليلة، وكانت الرغبة عارمة لدي وصديقي فقلنا لها نرغبك أنتِ، على الرغم من أنها في الخامسة والأربعين وجسدها مكتنز، إلا أننا كنا بحاجة إلى أي شيء، ودلتنا على بواب في شارع شامبليون، اتفق على أن يؤجّر لنا حجرته ساعة مقابل خمسين جنيهًا، وأصر صديقي على أن يدخل أولاً لأنه لن يتحمل حتى انتهى أنا، دخل ووضع البواب القفل على باب حجرته من الخارج، مقابل مائة جنيه، ووقفت معه أمام باب العمارة. وما هي إلا دقائق حتى سمعت سيل من الشتائم تقذف بها أم تفاحة صديقي، وفتح البواب القفل لتخرج أم تفاحة وتقذفني بيدها المغمضة في وجهي وتسب كل من يعرفني، وقبل أن تعبر إلى خارج العمارة استدارت قائلة: لو شفتك في أي شارع من شوارع وسط البلد مرة تانية هأمسح الأرض بيك و بكرامتك يا ابن اللي عمرها ما قالت لأ. ثم بصقت عليّ وذهبت، بينما كان صديقي يستلقى على قفاه من

الضحك، سألته وكلي غضب عما حدث، أخبرني أنه دخل معها وجلس على سرير البواب وطلب منها أن تنزع كل ملابسها، وعلى الرغم من بياض جسدها إلا أنه كان مترهلاً، نظر إلى ثدييها المتدليين حتى منتصف بطنها، ثم نظر إلى وجهها ولوح بوجهه يمينًا وشمالاً علامة الرفض، أخبرها أنه لا يستطيع النوم معها، طلبت منه نقودًا، رفض لأنه لم يفعل شيئًا.

ظللت حائرًا: "هل أخدع داليا بحياة وهمية، منهاجها الصدق والاحترام، أم أكشف لها عن أني لست سوى قناع زائف يتراكم فوق كمية من العفونة توازى العفونة الملقاة في شوارع وسط البلد.. ثم من يدريني إن لم تكن هي مثلي، عاشت حياتها بالطول والعرض، وسوف تدعي الشرف وتجري عملية ترقيع لغشائها مقابل ثلاثمائة جنيه.. فحتى الشرف أصبح الناس يشترونه ويخدعون به الآخرين، وبكم؟ بثلاثمائة جنيه!".

الدين والجنس متلازمان ظلا يتسابقان داخلي، من الذي يتغلب على الآخر.. من الذي ينتصر، من الذي سوف ينسحب؟!

لا إجابة أعرفها، ليتني أستطيع ترك أحدهما.

- ليكن الجنس..
- لا أستطيع العيش دون جسد
- تزوج
- لا أستطيع الاكتفاء بامرأة واحدة

**- تزوج أربع**

**- أريد أكثر**

**- ليكن الدين إذن**

**- ليس لدي وازع أخلاقي**

**- وهل الدين بديل عن الوازع الأخلاقي؟**

**- ليس كذلك، ولكنه يمنحني الراحة النفسية، كما أني أخـاف الله.. أخافه..أخافه.**

## ( ١١ )

توقف هشام عن حديثه مع نفسه، مستغفرًا ربه لأنه ارتكب سيئات، طالبًا منه بأن يسامحه، ومتمنيًا ألا يكون قد وقع تحت قصف المحصنات، ومن عادة هشام أن يتذكر الله دائمًا بعد كل علاقة أو موقف مشين نادمًا، والشيء الوحيد الذي لم يندم عليه كتاباته التي تصيب بالوجع؛ أولئك الظالمين الذين يتحكمون في مصير البلاد، ودائما تجذبه القضايا الصحفية التي تعرّض قوم بسطاء فيها لظلم..

وهذا ما جعل ذكرياته تتداعى حين كان مستقلاً "ميكروباص" - فالحب عنده يبدأ من الميكروباص وكذلك الخبطات الصحفية - يسمع راكبًا يجلس بجواره، يتحدث مع راكب آخر أمامه عما جرى في قرية البرجيلة عن اعتداء مجموعة من رجال الأعمال على مائتين وخمسين فدانًا ملكًا لأهالي القرية ومحاولتهم الاستيلاء عليها بمساندة رئيس المباحث، ذهب إلى هناك، التقى الأهالي/ وظل ثلاثة أيام في قرية البرجيلة يرصد ما حدث، لكنه لم يكن يعلم أن هذه بداية الشرارة، ففي مساء اليوم الثاني قام رئيس المباحث مع قوة كبيرة بتجريف أراضى الفلاحين المزروعة بالقمح.

صعد هشام إلى سطح أحد بيوت القرية يسجل بقلمه وكاميرته ما يحدث، وبكى.. بكى كثيرًا حين شاهد رجلاً يُسحل أمام عينيه، بكى لأنه ظُلم كثيرًا في حياته.. بكى لأنه تذكر أهالي قريته.. وبكى أيضًا

لأن الرجل المسحول كان يحمل ملامح أبيه إلى حدٍ كبير، ولما حاول عمدة القرية الانفراد برئيس المباحث جانبًا في محاولة منه لإقناعه بأن هناك طرقًا أخرى عديدة خلاف التجريف عيني عينك، وكان من الأفضل حرق المحاصيل في الليل والأهالي نائمون... لكن رئيس المباحث تركه بعد أن لكمه في كتفه وهو يقول بصوت مرتفع:

- أنت ها تعلمني أعمل إيه يا روح أمك؟

لكن صوتًا قاطعه وهو يهبط من سيارته الفارهة:

- معه حق يا أدهم بيه.

ارتبك رئيس المباحث حين رأى المحافظ أمامه، اقترب منه مسلمًا، وحدثه هامسًا بأن رؤية العمدة هي الصحيحة، وإذا به يرفع صوته في مواجهته:

- لازم الكل يتحاسب.. كل من اقترب من قوت هؤلاء الغلابة وسلبهم حقوقهم وجرف أراضيهم، لابد أن يدفع الثمن غاليًا، وأولهم أنت.. أوقفوا هذا العبث، ولينام الجميع في أمان، فكل شيء غدًا سيعود إلى حاله.

صدق هشام كلام المحافظ فهبط من سطوح البيت بسرعة واقترب من المحافظ وعرفه بنفسه، وأنه سجل كل شيء بالكاميرا الخاصة به، والتي عدلها على وضع الفيديو، وأنه سينشر حديث المحافظ هذا في الصفحة الأولى.

استشاط رئيس المباحث غضبًا وأمسك بالكاميرا وقذفها بعيــدا، ثــم أمسك بهشام من ياقة قميصه سابًا ولاعنًا له وللصحافة، ومن الذي سمح له بالمجيء إلى هنا.؟!

- تشريدك لمائة وخمسين أسرة وتجريفك لأراضيهم وسرقة الأمــان من عيونهم هو الذي جاء بي إلى هنا؛ كي أكشف الفساد والجبــروت الذي يمارسه من هم على شاكلتك... قال له هشام,

لكنه لم يدرك شيئًا بعد ذلك، سوى وهو يفتح عينيه جالسًا في مكتب المحافظ، واهن الصوت، مشلول الحركة.

استمع هشام لحديث المحافظ حول أن كل محافظ رئيس جمهورية في محافظته وأنه يجب المحافظة على الأمن والأمان لأن المرحلة الحالية لا تسمح بالشوشرة، وذلك لأن البلد يمر بمنعطف خطير؛ لــذا فإنــه سيعيد إلى الأهالي حقوقهم وسينتهي الأمر تمامًا.

وبعد حديث طويل استجاب هشام محاولاً جعلهم يقتنعون بأن الأمــر انتهى بالنسبة له وأنه فهم الأمور خطأ، وسوف يعود إلــى القــاهرة فورًا.

عاد هشام إلى القاهرة بالفعل، وبعد أن علم أن الدليل الــذي يتبعــه اقتنع وسيخبر من أرسلوه بأنه عاد إلى القاهرة، استقل ميكروبــاص من رمسيس إلى مقر جريدته، ثم عاد مرة أخرى إلى قرية البرجيلة ليس بمفرده هذه المرة، بل معه زميله المصــور يعقــوب إبــراهيم، تسللا من طريق خلفي إلى القرية بمساعدة أحد الأهالي، تسلق هشام وزميله شجرتين عاليتين في الطريق الخلفي للقرية ليسجلا أسوأ مــا

تفعله اليد الإنسانية، إذ راح رئيس المباحث بمساندة المحافظ يـــدمر بيوت القرية بالكامل ويلقي القبض على رجالها بتهم حيـــازة ســـلاح غير مرخص، والبلطجة وإثارة الشغب، والاعتداء على الضباط أثناء تأدية وظيفتهم، وحين ولولت النساء في البيوت ألقى رئيس المباحث القبض عليهن، وحتى يضمن عدم هروبهن أمر عساكره بوضـــعهن في عربات كبيرة، وربط شعورهن ببعضها البعض، مما جعل إحداهن تموت مختنقة بسبب وقوعها تحت أرجلهن، ثم ربط الفلاحين بحبـــال طويلة، وقدم المحافظ في سيارة أحد رجال الأعمال الكبـــار، اذ جـــاء رجل الأعمال ليهدئ من روع الأهالي، حين علم أن الأمر قد يتجاوز القرية، فألقى خطبة عصماء في هؤلاء الفلاحين الذين يغطى الـــذباب وجوههم، وجلابيبهم ممزقة، وأياديهم مرتعشة في أصـــفادها.. قـــال رجل الأعمال صلاح جابر:

ذات يوم جاء فاسد كبير اسمه جمال عبد الناصر، فلاح فاشل وابـــن تاجر فحم لا يصلح لأن يكون أكثر من أجير يسقى البهائم فـــي دوار أحد العمد، ولأنه كذلك بالفعل فقد سلب أجدادنا أراضـــيهم ليمنحهـــا للقطاء مثلكم ظنوا أنهم أسيادا، وراحوا يضعون رؤوسهم بـــرؤوس أسيادهم، وآن الأوان لينتهي هذا القـــبح ويعـــود الحـــق لأصـــحابه، فالإصلاح الزراعي الحقيقي أن نملك نحن وتعملون أنتم.

قاطع صلاح جابر صوت واهن، متعب ومكدود، خرج من بين أهـــل القرية قائلاً له:

- كـــ... أمك

هاج صلاح جابر، أخذ يركل الفلاحين الذين لا حـــول لهـــم ولا قـــوة بقدميه، ثم جعلهم يمضون على عقود بيع وشـــراء علـــى المـــائتين وخمسين فدانًا، أشبعهم العساكر ضربًا حتى يوقعوا ويبصموا علـــى العقود، بينما راح المحافظ ورئيس المباحث يهنئانه، وفُرِضَ كردون أمني على القرية لكي لا يخرج أحد، أو يصل الخبر إلـــى الصـــحافة ومراكز حقوق الإنسان.

وبعد أن شاهد هشام كل ما حدث والتقط يعقوب الصور وسجل لقطات فيديو، نزلا من على الشجرة واختبآ في شجر كثيف الأوراق بجـــوار الترعة، وبعد نقاش سأل الدليل عن كمبيوتر وتليفون فـــي القريـــة، واندهش الرجل لأن التليفون الوحيد موجود في بيت العمدة، ولو أن هناك تليفونات فلابد أن كل الأسلاك قد قطعت الآن مع هذا التـــدمير، بعد تفكير طويل نقل يعقوب وهشام الصور من الكاميرا إلـــى هـــاتف هشام المحمول الذي سارع بإرسالها على تليفون رئيس التحرير.

في اليوم التالي خرجت الصحف الحكومية بأخبار عن أن بعضًا مـــن البلطجية في قرية البرجيلة سرقوا السلاح واعتدوا على بيوت أحـــد رجال الأعمال الشرفاء، ويدعى صلاح جابر، واعتدوا على زوجتـــه، ولما حاول بعض ضباط الشرطة الخائفين على أمن الوطن ومصلحته التدخل، انهال هؤلاء البلطجية عليهم بالهراوات وكعـــوب البنـــادق، وسقط أمين شرطة قتيلاً أطلق عليه الرصاص أحد هؤلاء البلطجية..

لكن صباح صحف القاهرة في اليوم التالي كان خـــلاف أي صـــباح، نشرت جريدة "الصوت الحر" الصور على ثمانية أعمدة في الصـــفحة الأولى، مع تغطية شاملة كتبها هشام قلبت العاصمة رأسًا على عقب:

( تبدو جهنم بقعة من الجنة بجوار ما حدث في قرية البرجيلة في الأيام الخمسة الفائتة، حيث رأى النظام أنه أقوى من العدل، ورأى الظلام أنه أقوى من النور، بينما رحنا نحن نبحث عن نقطة ضوء هناك، هناك كانت جريدة "الصوت الحر" تبحث كعادتها عن الحقيقة.. الحقيقة التي يحاول بعض الصبية ممن اعتقدوا أنهم أقوى من القانون، بل وأقوى من الحياة نفسها بأن بإمكانهم دفنها مع رماد الأهالي الفقراء، الذين يلتحفون السماء كل ليلة ويحلمون برغيف صهرته الشمس مثل وجوههم، يأكلونه كل صباح مع بعض المش والجبنة القديمة.

٤٠ سيارة أمن مركزي وكتيبة من قوات الأمن و٧٠ فلاحًا و٣٠ سيدة مكبلون في العراء في حصاد من الظلم والطغيان، الرجال مربوطو الأيدي، والنساء -ومن يصدق- ربطوهن من شعورهن ببعضهن البعض، ولولا الصور المنشورة مع كلامي لما صدق أحد أن هناك طغيانًا وصل إلى هذا الحد، وكل هذا لأجل عيون الإقطاعي ورجل الأعمال المعروف صلاح جابر... نريد أن نعرف المبلغ الذي باع به المحافظ ورئيس المباحث ضميرهما ووطنيتهما لصلاح بك؟!. بالتأكيد المبلغ يتجاوز الملايين..)

كتب هشام ما حدث له بين المحافظ ورئيس المباحث. راحت عشرات المكالمات تنهال على جريدة "الصوت الحر"، من أناس يرغبون في معرفة المزيد، ويرغبون في محادثة هشام ليسمعوا بآذانهم ويتأكدوا أن ما حدث حقيقة، ولم يكن حكاية من حكايات الجني الأحمر، بينما

راح المحافظ ورئيس المباحث يتوددان لرئيس التحرير طالبين منـــه نشر تكذيب لما حدث، وأن يكتب مثل الصحف الحكومية، ولما رفض رئيس التحرير قدم له صلاح جابر عدة ملايين لشرائه، ووافق رئيس التحرير ووعدهما باللقاء صباح الغد في مكتبه، وفى الصباح كانـــت جريدة "الصوت الحر" تنشر مقالاً يحتل منتصف الصفحة الأولى بقلم رئيس التحرير عنوانه: "ملايين صلاح جابر لرشوة جريدة الصـــوت الحر"، وكان رئيس التحرير قد سجل المكالمة وكشف فساد صـــلاح جابر، بل وتمادى رئيس التحرير، في خطوة لم يســبقه إليهــا أحــد طالبًا بكشف المساندين لصلاح جابر في الحــزب ومــن يدعمونـــه ويجعلونه يحاول شراء الأقلام.

وبينما كان هشام ذاهبًا إلى بيته، وقبل أن يصعد إلى ميكروباص في ميدان عبد المنعم رياض أمسك به عدد من البلطجية، أخذوا يكيلـــون له الضربات، حتى تجمع حوله عدد كبير من سائقي الميكروباصـــات وأنقذوه من بين أيديهم.

وبعد ساعات كانت الضربة القاضية لـــرئيس المباحـــث والمحـــافظ وصلاح جابر الذين حاولوا تشويه سمعة هشام ورئيس تحريره عبر عدد من الصحف الحكومية، حيث ظهر هشام ومعـــه المصـــور فـــي برنامج "٩٠ دقيقة"، تحدثا عن الواقعة بالكامل، وأنهمـــا ســـيكملان القضية حتى النهاية، بينما اتصل أحد المسؤولين الكبار وكـــذب كـــل كلامهما، وأن الأمر كله كان بلطجة من قبل بعض الخـــارجين علـــى القانون..

- لن أسمح لأحد بأن يزايد على وطنيتي

هكذا قال هشام، ثم طلب من مخرج البرنامج أن يعرض ما لديهم وأخرج هشام الـ cd الذي نقله من الكاميرا وبه مقاطع فيديو تعرض بشكل واضح ما حدث في القرية.

ما هي إلا دقائق حتى كان وزير الداخلية على الهاتف يعلن فتح تحقيق على أعلى مستوى تحت إشراف رئيس الجمهورية، وعزل ومحاكمة كل من يثبت اشتراكه في هذه الجريمة البشعة.

بكى هشام على الهواء، لم يستطع منع دمعاته المتساقطة، فلأول مرة في حياته يرى للظلم نهاية، وبهذه السرعة، بينما راح أهالي قرية البرجيلة يزغردون ويرقصون فرحًا، خاصة بعد أن قام ابن شقيق صلاح جابر بقتله لأنه قتل والده منذ عدة سنوات واغتصب أرضهم.

## (١٢)

لا شيء في العالم يبعد عن أحلام الأميرة هناء، التي كثيرًا ما راودتها أحلامها في أن تسكن قصرًا في السماء، يقوم فيه ملائكة بأجنحة بالتهوية عليها وهى جالسة على عرشها، تشرب ماء لا يشربه أحد من البشر، وترتدي فيه ريش النعام، تسمح بدخوله لكل من شاهدها ذات يوم تتسكع على الأرصفة العربية مطرودة، بعد أن كُشف أبوها من قبل كافة الأنظمة العربية حول مشاركاته في انقلابات ضد عدد من الحكام والملوك العرب، فما من عملية حدثت إلا وكانت له يد فيها بدءًا من عملية الديك الرومي للتخلص من جمال عبد الناصر ومرورًا بانقلاب رفعت الأسد على شقيقه حافظ في سوريا، وحتى التخلص من صدام حسين.

لقد مات أبوها قبل أن يتم تنفيذ حكم الإعدام على الرئيس العراقي صدام حسين، عاش حياته مطرودًا حتى سُمح له بالبقاء في مصر عبر وساطات قام بها زكي عبد الوهاب، الذي لم يكن وقتها رئيسًا للجنة وعضوًا في مجلس الشعب، وعلى الرغم من ذلك كان واسع النفوذ لدى "اللي فوق"، يعرف الساسة العرب ما فعله والد الأميرة هناء في آبائهم.. إلا أن الجميع هرول لحضور جنازته التي خرجت من مسجد عمر مكرم، كانت جنازة مهيبة حضرها أغلب قادة العالم ففيها ثلاثة رؤساء من أمريكا: جيمى كارتر وبوش الأب والابن

وهنرى كيسنجر ورؤساء روسيا وفرنسا وألمانيا وايطاليا، ومن كـل البلاد العربية جاءت الوفود مع رؤسائها أفواجًا.. وكشفت الجنازة أن الميت لعب بالجميع وجعلهم يعتقدون أن أوراق اللعبة في يد كل منهم لكنها لم تكن سوى في يده هو.

ومثل أعياد ميلادها خططت الأميرة هناء لتكون جنازة أبيها جامعـة للكل، لتقول من هي؟ لذا سقطت منها دمعـات وهـى تطـل علـى البحيرات المرة من قصرها في لسان الوزراء في الإسماعيلية، إذ أن عيد ميلادها يوافق اليوم الذي اختاره أبوهـا للرحيـل، ولأول مـرة تحس أن أباها يخون عيد ميلادها، فهو يريد أن يرسل إليها رسـالة تحمل كل معاني الحزن والأسى، يصر على أن يحملها حزنـه وقـت رحيله، على الرغم من كل ما فعلته لأجله، وتناست للحظات ما فعله عمره كله لأجلها.

وكعادتها لا تفعل الأميرة هناء شيئًا، فلا استعدادات لعيد ميلادهـا ولا تحرك يتعبها، فقط تملي على داليا ما تريد، وتعـرض عليهـا داليـا قائمة بما سيتم وتراها قبل عيد ميلادهـا بأربعـة أشـهر، وتـومئ بالموافقة، فالوزراء والفنانون القادمون من الدول العربيـة حجـزت لهم التذاكر الخاصة بهم في درجات vip والمقيمون في مصر وصلت لهم الدعوات منذ شهر، وتحركت طائرات خاصة من فرنسا والصين وإيطاليا تحمل أشهر المأكولات التي جاءت ساخنة، وطائرة خاصـة من سويسرا حملت أغلى أنواع الشيكولاتة، وعزلت الأنواع التـي لا تحتوي على خمور جانبًا لأصدقائها من جماعة الأخوان المسلمين.

على الرغم من كل هذا زادت دمعاتها المتساقطة في البحيرات المـــرة على شيء يحمل إليها الضيق ويصيبها بالوهن، أنها تمتلـــك العـــالم شرقًا وغربًا.. شمالاً وجنوبًا، تأكل من الصين وهى جالسة في مصر، وتحلي من سويسرا، لكن رفض شقيقها "فالح" حضور عيد ميلادهـــا منذ رحيل أبيها، وذهابه كل عام في نفس الموعد إلى المقبرة الخمس نجوم في ٦ أكتوبر، التي يرقد فيها أبوها والتي خطت اسمه عليهـــا بماء الذهب، وجلوسه ساعات باكيًا أمام قبر أبيه داعيًا عليها، رافضًا أموالها... يضايقها كثيرًا.

تحس الأميرة هناء بالمقت من قبل شقيقها الـــذي حملهـــا صـــغيرة وجرى بها على شاطئ البحر، ولعب معها على العشب الندي، وكان يحاول سرقة العالم ووضعه في قبضة يدها الصغيرة..

هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يحدث ثقبًا في الكرة الأرضـــية إذا أغضبته، وهو الرجل الوحيد الذي يرعبها صـــوته.. يخيفهـــا لأنـــه يعريها من زيفها ومن سلطتها الجوفاء، ويكشف أقنعـــة الجالســـين حولها لا لشيء سوى أموالها.

- فلوسك حرام...

هكذا صرخ فالح في وجهها وهو ممسك بذقنه البيضاء الشعر، بينما راح ثوبه الأبيض وكالسونه الأبيض تحتـــه يهتـــز مـــن ارتعاشـــات صوته.

- حرام؟.. كيف وزوجي يأخذها من حقه، وتحول له على مصر...

قالت هناء لأخيها.

- المرأة التي تأخذ فلوس زوجها لتشتري أجساد رجال يضاجعونها حتى الفجر، بينما زوجها جالس على كرسي بأربع عجلات، ومصاب بشلل في قدميه بسبب صدمته فيها تكون فلوسها حرام.
قال فالح... ثم أكمل صارخًا:
- هل أستأذنتيه؟.. اذهبي وقولي له: أحتاج لعدة ملايين من فلوسك لأعطيها لرجال يعجبونني ويريدون شراء سيارات "هامر" من عرق أجساد النساء..

صوته في ذاكرتها يغطى على ارتطام الماء بجدران قصرها، لذا لم تنتبه إلى طرقات الباب حتى دخلت داليا وخبطت على كتفها لتنبهها أن المعازيم قد بدأوا في الحضور.

النجوم التي تلمع في الليل فقط ليشاهدها البشر في النهار كانت تقترب منها، راسمة قبلتين على وجنتيها الرائعتين والمتوردتين بوهج السلطة والمال والشهرة..
لم يسمح لأحد أن يمر دون الدعوة الشخصية التي يحملها معه والتي كتب عليها شخصية، حتى ولو كان رئيس وزراء مصر. ووصل عدد مشاهير المجتمع إلى الألف حين بدء الحفل، وتكومت هدايا عيد الميلاد جانبًا كجبل من الجليد لا يذوب لأن هناك من يسانده، ودخل المساند دائمًا زكي بك عبد الوهاب في بدلته التي يرتديها من إف سان لوران، والكرافت الإيطالي وكعب الحذاء الإيطالي العالي الذي يخفى به قصره، راح يحيى العديد من الوزراء والشخصيات المهمة التي راحت تقف له تحية واحترامًا، نظر حوله، لم يجد أميرته،

وكعادته عرف الطريق إلى داخل القصر، ترك الجميـع فـي حديقـة القصر، متجهًا إليها، هو الشخص الوحيد الذي لا إشـارات حمـراء أمامه للوقوف أمام عتبتها، فصاحب الليالي الحمراء يهرب دائمًا من الإشارات حتى يلحق بعشيقته، ولو كان هناك عقاب فليتأجـل حتـى فجر الليلة الحمراء.

دلف إلى حضرتها، فأعلنت غضبها منه، مولية ظهرهـا لـه، فقـد وعدها بقضاء اليوم معها، وعدها بنهار دافئ ملـيء بالحـب لعلـه ينسيها ما فعله أخوها في يوم عيد ميلادها قبل أن يأتي أحد، لكنه لم يحضر، فما كان منه إلا أن قدم لها الاعتذار، ولم لا وهي أميرته التي يقضى معها أجمل الليالي والسهرات:

- صدقيني يا ملكة عمري هناك أحد السفلة في المجلس قـدم طلـب إحاطة ضدي، وهو الوحيد الذي يمتلك المستندات والأدلة والبـراهين هو ولا سواه، وحاولت التصرف حتى لا يتحول الأمر إلى فضـيحة، وهذا ما أخرني عنكِ.

اقترب منها قبل أن ينتهي من كلامه، متحسسًا ظهرها المرمري بيده، ثم لف قبالتها وقبل وجنتيها، ويـديها، ثـم شـفتيها، وراح يعبـث بأصابعه في وجنتها اليمنى، ثم أخرج من جيبه علبة، فتحتها، وعلى وجهها بعض من غضب هارب.

خاتم تجاوز سعره المليون دولار، أذهلها اختياره، فغرت فاها، وهـى التي لم يعد هناك شيئًا مدهشًا بالنسبة لها، ثم وعدها بالبقـاء حتـى الصباح عندها وعدم الذهاب إلى المجلس غدًا.

وسط هذا الحشد الكبير من المدعوين، يجلس زوجها فـــي الحديقـــة كغريب ضل من أهله منذ سنوات وفقد الأمل في أن يرحمـــه القـــدر ويخلصه من حياته البائسة، أو أن يلقى أحدًا من أهله، وحتى ينسى همومه ويدارى عجزه، راح ينسج حكايات من وهم لا يصدقها بـــأن لزوجته بيزنس خاصًا بها مع زكي عبد الوهاب وغيره، وأنها ســـيدة مجتمع، حتى يتناسى آلامه ونظرات المحيطين به، ولكـــم تمنـــى أن ينجب ابنًا يحافظ على أمواله من بعده، لكن منذ خرج مطرودًا مـــن قبل إخوته وأعمامه بين خيار أن يبقى ولا يتزوج بهذه المرأة، أو أن يتزوجها ويرحل وتصله حقوقه حيث يذهب، فاختار الـــذهاب معهـــا، وردد أعمامه وأخوته أنها سحرت له بطريقتها حتى يقع في غرامها ويهيم وراءها في البرية، لا تعرف قدماه مستقرًا ولا يعرف قلبه أمانًا ولا يحس بأيام عمره التي تولي.

رغم السلطة والمال والمجد كان الرجل بائسًا مهزومًا، يعيش وحيدًا، رغم كل الشفاه التي تسبح بحمده وترجو منه الرضا، فلـــيس هنـــاك شعور لدى الرجل أقسى عليه من شعوره بأن زوجته تخونه ويعرف ولا يستطيع أن يفعل شيئًا سوى الصمت، فالرهان على اختيار العمر يصعب خسرانه أمام تطلعات العالم وانتظاره لهذا الخسران المتوقع.

خطواتها كأميرة من ليالي ألف ليلة وليلة وهى تهبط سلالم القصـــر إلى الحديقة، وخلفها فستانها المنساق وراءها كأنه زوجها في بداية تعارفها عليه، بينما كان زكي عبد الوهاب يجلس بين الحضور، بعـــد أن دلف مسرعًا عبر الباب الخلفي للقصر، وراحت تتبادل التهاني مع

المدعوين وعطرها الفواح والمعتق بالبخور ودهن العود يملأ أنف كل من تعبر بجواره، لم ينتهِ تصفيقهم، وهم جالسون على مقاعدهم، منذ هبوطها وحتى جلوسها بجوار زوجها الذي راح ينظر لهـا بعينـين مليئتين بالكره والغضب والألم والانكسار، بينما توالى صعود مشاهير المطربين والمطربات على "الستيدج"، ثم رقصت دينا في منتصف الليل، فقد أرادت الأميرة هناء أن تعلن مولد سنة جديدة لها بردفي دينا في الثانية عشرة تمامًا..!

بدأ البوفيه في الواحدة صباحًا، قدم أفخم أنواع الطعام للحضور كل حسب طلبه، الياباني أو الصيني أو الإيطالي، وأغلبهم قرر أن يمتع معدته بالكافيار الإيراني الذي لن يحصل عليه في مكان آخر، بينما جلس أحد الذين يأكلون ولا يشكرون يقول لصديقه الجالس بجواره وزوجته:

- الغريب أن كل شيء مستورد إلا صاحبة المهرجان؛ طلعت تايواني..!!

زغده صديقه مشيرًا إلى قدومها تجاههما، فحياها قائلاً:

- إنها الأصل، وكل ما عداها تايواني.

كانت داليا تقترب في هذه اللحظة من زكي عبد الوهاب وتعطيه ورقة تخبره فيها أن سمو الأميرة تواجه بعض المتاعب من المدير الجديد لهيلتون رمسيس حيث يطالبها برد الأموال المتأخرة عليها، وهي مبلغ بسيط حوالي ٢٥ مليون جنيه، وإن لم ترد خلال أسبوع فسوف يطلب خروجها من الفندق.

- ولكن سمو الأميرة أخبرتني بالأمر منذ أيام، وتحدثتُ مـع وزيـر السياحة وأنهيت الأمر وتم نقله إلى فندق هيلتون الغردقـة دون أن ننقص من درجته الوظيفية.

قال زكي عبد الوهاب مندهشًا، فزادت من انحناءتها عليه لتخبره أنها تعرف وأن عليه أن يقرأ الورقة، فالأمر مجرد حيلة حتى لا يشعر من حوله بأن في الأمر شيئًا، فتح زكي عبد الوهاب الورقة بعـد ذهـاب داليا وقرأها بين رجليه، فقام بسرعة معتـذرًا للنجمـة السـينمائية الشهيرة التي تجلس بجواره، هاتف هنـاء فأعطـت داليـا الهـاتف المحمول للأميرة هناء التي حاولت أن تخفى ضيقها وهى تجز علـى أسنانها، مخبرة زكي بأنها بداية لا تغير من امرأة "ليسبيان" تسـهر كل ليلة في شقة المخرجة الشهيرة، ولكن لا يجب على رجل مثله له مكانته في الحياة السياسية والاجتماعية أن يهين اسـمه وسـمعته بالجلوس بجوار امرأة بهذا الشكل تحتك به بكتفها وتضع يدها علـى فخذه، حاول أن يكذب قولها، وأن يؤكد لها أن لا شيء يحدث بينـه وبينها وأنه لا يستطيع الجلوس في مكان آخر حتى لا يحرج نفسـه أمام الناس.

- بالتأكيد أنا كاذبة بدليل ما تحمله والذي بدأ يتراخى رويدًا رويـدًا الآن بعد ما نهضت من جوارها.. قالت هناء ثم أغلقت الهـاتف فـي وجهه، بينما زكي عبد الوهاب يضع الهاتف على أذنه وعيناه تنظران في دهشة إلى بنطلونه، متحركًا للجلوس على ترابيزة أخرى كل من عليها رجال.

(١٣)

اختل توازن عدنان وهو يدخل من الباب الكهربائي لمول الهيلتـــون، كاد يسقط على الأرض ناظرًا هناك إلى الفتاة التي تعبـــر فـــي آخـــر الممر مثيرة الدهشة في أعين العابرين داخل الدور الأرضي للمـــول، والجالسين في الكافيتريا، كانت فتاة خليجية بيضاء ممشوقة القـــوام، تخلت عن زيها الخليجي وارتدت أكثر الملابس عريًـــا فـــي قـــاهرة المعز، وكل من لامس الهواء العابر لأهدابها الملقـــاة فـــي مســـاحة الفراغ كمركب عابر في بحر هادئ الأمواج راح يفغر فاه، بينما سمع عدنان صوتًا يأتيه من بُعد في لحظة الاختلال:

- يا بوى يا أبو الصعدان

صرخ شادي ضاحكًا وهو يشاهد صديقه على هذه الحالة المؤلمة، ثم اقتربا من بعضهما وتعانقا، ثم عبرا خلف الفتاة حيـــث تلقـــت للتـــو مكالمة على هاتفها المحمول، "فمشت الهوينا كمـــا يمشـــى الـــوجى الوجل"، ثم نزلت على الدرج المؤدي لمحـــلات الأحذيـــة والحقائـــب النسائية المزدانة بريش النعام، متجهة شمالاً لتلف دورتهـــا خلـــف المحلات وهى تتحدث بشفاه يتراقص عليها الكلام، بينما راح شـــادي يتتبع حركة أردافها رافعًا يدًا وخافضًا أخرى، وكأنه مايسترو بـــدون فرقة، بينما عدنان يضحك بلهجة صعيدية، يتبعها كحة وهو يســـحب علبة سجائره الكليوباترا ويشعلها بشهيق وزفيـــر أنفاســـه قبـــل أن

تشعلها قداحته، ثم يطلق الدخان من فمه مشكلاً دوائر تحـــول بـــين عينيه أرداف الفتاة.

رغم المناورات العديدة التي اجتهدا فيها، لم تعرهما اهتمامًـــا، عـــادا وصعدا السلم الكهربائي وهما ينظران ذات اليمين وذات الشمال بحثًا عن فتاة الليلة، وإذا برجل عجوز يمسك بيد فتاة لا تتجاوز العشرين من عمرها وبينهما حوار هامس، يتمشيان في الدور الأول بـــالقرب من محل أدوات منزلية،فإذا بشادي يقترب منهما قائلاً بصوت مرتفع:

- إزيك يا أستاذ عزت
- عزت مين يا بني؟
- آسف كنت فاكرك الأستاذ عزت العلايلي.

ثم يتركهما مسرعًا وبين شدقيه ضحكة مكتومة صاعدًا إلـــى الـــدور الثاني وخلفه عدنان ضاربًا يدًا بيد وهو يضحك ولا يصدق ما يحدث.

توقفا في الدور الثاني موليان ظهرهما لمحل بيع كاسيت وأفلام "دي في دي" صامتين، ثم تحركا خلف هشام الذي وجداه متأنقًا كالعـــادة بالجاكت السماوى والبنطلون البيج، خلف امرأة تتجاوز الثلاثين مـــن عمرها، وفى يده كالعادة "البيزنس كارد" الخـــاص بـــه، وتليفونـــه المحمول على أذنه كالعادة أيضًا، يتكلم مع نفسه بصـــوت مســـموع لهذه المرأة عن سعادته لو سمحت له بالتعرف عليها، وأنه يستطيع أن يملي عليها رقمه إذا أرادت وإن خافت أن يلمح أحد كتابتها لرقمه على هاتفها المحمول فما عليها إلا أن تصعد درجات السلم الكهربائي وسوف يكون خلفها ويضع البيزنس كارد في حقيبتها دون أن يلاحظ ذلك أحد.

تركته المرأة دون أن تعيره اهتمامًا، دخلت إلى محل أحذية، سارع عدنان وشادي بوضع يديهما على كتفيه ضاحكين، لتبدأ رحلتهم الليلية.

وهم يعبرون إلى الطابق الأعلى سأل هشام عدنان وشادي إن كانا شاهدا تلك الفتاة التي خلبت عقله وجعلته لا ينام الليل:

- اللي نيمتك في المستشفى أسبوع؟

قال شادي ضاحكًا بينما هشام استغرق في نوبة سرحان طويلة حتى توقفوا في الطابق الثالث تعتريهم الحَيرة في حالتهم، ثم صعدوا إلى الدور الخامس عبر السلم الكهربائي.

أحس هشام بضيق، فك أزرار قميصه، نزع الكرافت التي كان يرتديها ثم طلب من عدنان وشادى الجلوس في (MALIM) وهو كافيه وصالة بلياردو في الدور الخامس في الهيلتون أمام السلم الكهربائي وعلى يمينه توجد سينما المول وعلى شماله مطعم ماكدونالدز بألعاب الأطفال التي تستحوذ على مساحة كبيرة فيه.

جلس ثلاثتهم إلى الطاولة، راح هشام يطرح العديد من التساؤلات حول ما يفعلونه وما الهدف منه، فإذا كان النساء فلماذا لا نأخذها من قاصرها، وناخذ أي امرأة معنا نضاجعها ونعطيها ما تريد؟

فذكر عدنان هشام بأنهم في كل مرة يتحدثون في هذا الأمر وينتهون إلى لا شيء بعد أن يتهموا ضميرهم بالموت وحياتهم بالعبث المؤدي إلى أوهام تشبه من يتعاطى الخمر هربًا من الواقع، ليس متعة لمزاجه.

قاطعه شادي وبخلده تمر فلسفة السنين:

- نحن لا نسعى إلى المزاج يا صديقي.. نحن نسعى لإخراس صوت الحيوان الزاعق داخلنا.

- كأن اللي بيتكلم رئيس قسم فلسفة وليس شادي... قال عدنان ثم أردف: يا بوي عليك يا شادي لما تطلع اللي تعلمته في الدنيا كله علينا..

ضحك هشام قائلاً: نحن لا نفعل شيئًا سوى إحياء فلسفة الكلبيين الإغريق، فقد كانوا يرون أن السعادة الحقيقية في أن تعيش مثل كلاب الطريق، وها نحن نعيد نهج هذه الفلسفات.. ها نحن نفعل الأمر نفسه.

رفع كل منهم كأس عصير البرتقال الموحد الذي طلبوه حين جلوسهم ثم أعطى عدنان لشادي سيجارة من علبته، وأخرج أخرى لنفسه، وبين دخان السجائر لمحوا فتاتين ترتديان جسدين على ملابس، دفعوا الحساب، هرعوا خلفهما على السلم الآخر، حاولوا طلب التعرف إليهما، لكن الفتاتين لم تعيرهم اهتمامًا، وصلا حتى الطابق السفلي ثم إلى خارج المول وعبروا الشارع بين المارة ؛ ونداء سيارات التاكسي والمتسولين وبائعي المناديل، إلى لوبي فندق هيلتون رمسيس، وضعت الفتاتان الحقيبتين الخاصتين بهما على جهاز التفتيش ودلفتا إلى الفندق... قال عدنان ضاحكًا:

- ادخل يا شادي وراء الحقيبتين، فبطنك يشبه الحقيبة المنتفخة بالكراكيب التي لا قيمة لها.

ضحكت الفتاتان مثلما ضحك هشام وشادي،ولكن الفتاتين أصرتا على عدم الحديث إليهم رغم الإلحاح، ورغم أن الأمن أوقف الفتاتين يسألهما إن كانا من نزلاء الفندق أم أن هناك سببًا لمجيئهما، وهي حالات تحدث كثيرًا من قبل أمن السياحة، حين يشتبه في بعض فتيات الليل، أو حين تمر بمفردها، لكن مرورها مع شخص ما من نزلاء الفندق لا يتيح للأمن السؤال... ادعتا أنهما ستسحبان نقودًا من ماكينة "الفيزا"، وقف ضابط الأمن بجوارهما أمام ماكينة الفيزا فادعيتا أنها لا تعمل، غيّرا طريقهما إلى مكتب بنك مصر داخل الفندق بحجة تغيير عملة، وأمام البنك تركت إحداهما قصاصة ورق فيها رقم هاتفها لرجل خليجي كان يلوح لهما يالإشارة من بعيد على الكاونتر الفارغ المجاور للبنك.

أسرع شادي، التقط الورقة، كتب الرقم على هاتفه المحمول، ثم تحدث بلهجة خليجية قحة واتفق معهما على كل شيء، وعليهما أن يظلا لعشر دقائق داخل البنك بحجة تغيير عملة حتى يعود إليهما، ثم هرول شادي طالبًا من هشام وعدنان انتظاره حيث ذهب لصديقه علي الذي يدير "كشك" للعصائر وكافة أنواع الشيكولاته في أول الشارع، دخل الكشك، خرج منه بجلابية وصندل وغترة وعقال، وكأنه قادم لتوه من الخليج، ممسكًا في يده بمسبحة، واليد الأخرى يرتدى فيها الساعة "الرولكس" التقليد، وحين عاد ضحك عدنان وهشام بشدة لكنه لبس طور الجد. طلب منهما أن يلحقا به على شقة المعادى، حيث قام شادي بسرقة المفتاح من صديقه المهندس الذي انتدب لبنى سويف في مهمة عمل حكومية، ولن يعود إلا بعد أسبوع.

ادعى شادي أن السيارة مع العائلة وســوف يســتقل تاكســي إلــى المعادى، وبالفعل صعدتا معه وهو يدير الحوار بالخليجيــة تمامًــا، وحين هبط من التاكسي في شارع النصر بالمعادي؛ مــنح الســائق خمسين جنيهًا، وحرص أن ترى الفتاتان كرمه وأن الفلوس هي آخر ما يفكر فيه، لذا صعدتا معه إلى الشقة وأدارت إحداهن "ســي دي" رقص على جهاز الكمبيوتر الخــاص بصــديقه، وراحتــا ترقصــان وتتخلصان من ملابسهما، وغرقتا في الجنس حتى الثمالة، وشــادي مستمتع بتقليده لشخصية الخليجب أكثر من استمتاعه بالجنس، وهو يقول: وي.. وي يابت، إيش تبغي مني تاني، ماني جــادر.. كــافي هدا.. كافي.

وكان يضحك من الأعماق، بينما ضرب جرس الباب، نهــض ليفــتح وهو يخبرهما أن الشقة أمان وهى ملكه، وحين يأتي إلى مصر يظل فيها أسبوعين الإجازة ثم يوصدها ويعود، وبعد أن فتح الباب وغمز لصديقيه وسألهما بضيق عن سبب مجيئهما والعكننة عليه في هــذا التوقيت، ثم طلب من الفتاتين إشراك صديقه هشام الليبــي وعــدنان اليمني في السهرة، والحساب عنده.

- أنت تؤمر ولك ماتريد يا شيخنا.. قالت إحداهن ضاحكة ضــحكة مزخومة بأنوثة طاغية تذيب الجليد.

مرت السهرة، وفى الصباح أخرج لهما شادي رزمة نقود ورقية قائلاً لهما: هذا ألف يورو لتتمتعا وتعيشا.

وواعدهما على اللقاء مساء اليوم في فندق الشيراتون.

**خرجت الفتاتان في سعادة غامرة، فهما في هذه اللحظة يمتلكان ألف يورو..!**

**ضحك هشام وشادي وعدنان وسارعوا بارتداء ملابسهم وترك الشقة ووضع القفل من الخارج، حتى إذا عادت الفتاتان بعد أن يكتشفا أن الألف يورو ليست إلا عملة هندية لا تساوى أكثر من عشرين جنيها مصريًا، لا يجدا إلا قفلاً على باب شقة مكتوب عليها شقة المهندس علي الزيني، والذي لم يلتفتا اليها حين صعودهما، فقد تعمد شادي عدم إنارة نور السلم بحجة ألا يراهما أحد من الجيران.**

## ( ١٤ )

السيجار دائم الشجار مع شفتيه، وهو ينظر إلى حذائه الأسود اللامع وبذلته الزرقاء في أناقته الاعتيادية، عـــابرًا المســـافة بـــين مكتبـــه وكافتيريا مجلس الشعب في قلق، فلم يعتد زكي عبد الوهاب أن يقول له أحد لا.. يحرقه.. ينهي حياته السياسية ذلك الذي يتجرأ ويقولهـــا ذات يوم، سواء كان من الإخوان المسلمين أو كان نائبًا مستقلاً، ولا أحد يعرف لماذا وقف النائب الإخواني في وجه زكي عبـــد الوهـــاب وقال ما قال، إلا إذا كانت لديه براهينه وحججه ووثائقه.

أرسل زكي عبد الوهاب خصلة شعره السوداء المضمخة بالبياض إلى مكانها فوق رأسه، بعد أن انحدرت على جبينه، ثم نفخ سيجاره فـــي غيظ ودخل إلى مكتبه وأغلق الباب عليه.

جلس زكي عبد الوهاب على كرسيه تاركًـــا ســـيجاره فـــي منفضـــة السجائر شابكًا يديه، بينما رجلاه تتحركان أسفل المكتب فـــي قلـــق، فلعلها المرة الأولى التي يقف فيها نائب ويقول "لا" في وجـــه زكـــي عبد الوهاب، ويدعي أن لديه وثائق تدينه وتثبت تحايله على القانون واغتصاب حقوق الفقراء في هذا الوطن.

لم يكن يضايق زكي عبد الوهاب قول لا، لكنه يدرك البعد الآخر الذي قد تأخذ ه المسألة، وهو اللعب بالدين ؛ ذلك أن زكي عبـــد الوهـــاب يعرف مدى تأثير الإخوان المسلمين في الشارع، ويدرك أن النـــاس

تمشي وراء دائم القول، قال الله وقال الرسول، وعبد الوهاب يسعى حثيثًا إلى التقرب إلى الشارع المصري مثل الثعبان في نعومته ليلدغ لدغته الأخيرة.

- "لن أدع أحدًا يحول دون تحقيق طموحاتي"..

قالها عبد الوهاب في صمت وهو يتأمل الجدار الخشبي بني اللون، متذكرًا عذابات البدايات وعمله في تجارة الخردة في طنطا، ثم عمله أثناء دراسته الهندسة بجامعة القاهرة عازفًا على البيانو في فندق الميريديان لإثبات وجوده واعتماده على نفسه بعيدًا عن أبيه، ثم عودته لأبيه الذي لم يكن يمتلك المال الكافي للاشتراك في ناد خاص أو شراء السيارة الـ BMW التي يحلم بها، لكنه استطاع أن يحصل على قرض بضمان الورشة الخاصة بهم في طنطا، ويؤسس مصنعًا لإعادة تصنيع الحديد الخردة وبقايا حديد السيارات في شمال القاهرة، فقد أدرك أن انتقاله إلى القاهرة يحقق له طموحاته، لأنها كبيرة ويتوه فيها الناس قبل أن يصلوا إلى ما يريدون.

استطاع بذكائه إدارة هذا المصنع بنجاح وأسماه "مجموعة مصانع عبد الوهاب للحديد" رغم أنه لم يكن سوى مصنع واحد، ومن أرباح هذا المصنع استطاع تأسيس مصنع آخر لصناعة الحديد الصلب، ورغم تدفق الأموال عليه إلا أن هناك شيئا ما كان ينقصه، فقد استشعر زكي عبد الوهاب أنه يبتعد عن طموحه، لكنه تأكد فيما بعد أنه كان يرسخ الخطوات الأولى لطموحه، فالمال مفتاح لكل الأبواب الموصدة، وبالمال تستطيع أن تصنع عالمًا كاملاً، بل تستطيع أن تشترى "الإنسان" أيًا كان توصيفه الاجتماعي.

وأدرك زكي منذ زمن طويل أن الشعب المصري لم يكــن يومًــا مــا صانع قرار نفسه، بل أنه اعتاد سياسة "الجبر والحتمية"، فهو شعب بلاوعي، ووعيه سياسيًا واجتماعيًا بل وفنيًا يشكله له منتفعو وتجار هذا الوطن.. عشرات الشخصيات من نجوم السينما الآن لا علاقة لهم بالتمثيل من قريب أو من بعيد، لكن لا يوجد نجــم رفضـــه الشــعب المصري، لا يوجد مخرج قال له الشعب المصري لا، فالشــعب الآن في مرحلة فقدان الوعي، لذا فإن من لديه موهبة ومن ليست لديـــه؛ يستطيع أن يحقق إعجاب وإبهار ملايين المصريين، فبمجرد أن ترى الجماهير واحدًا من هؤلاء في الشارع حتى تهرول لالتقــاط الصــور معه، وتسارع الفتيات بمنحه أرقامهن، متمنيات إقامة علاقة ما معه، رغم فشله الذريع في امتلاك أدنى ثقافة تخص صناعته.. ولكــن لأن مشكلة الضمير الجمعي المصري وضعوه في بؤرة الضوء، فقد صدّق الشعب على موهبته؛ فدخل التاريخ من أبوابه الخلفية..أدخلـــه إيــاه ذلك الحمق الجمعي.

لذا راح زكي عبد الوهاب يسعى إلى مجلس الشــعب، واســتطاع أن ينجح من خلال أصوات العمال الذين يعملون في مصنعه، ومن خلال الأموال التي أغدقها على بسطاء الناس، فكل من يعطى صــوته لـــه يحصل على مائة جنيه، وكان لابد من عرضه على مسرح الـــوطن الهزلي في مجلس الشعب، فأحضر مصورا فرنسيا التقط له مجموعة كبيرة من الصور وهو يراوغ في قاعة المجلس، راح يوزعها علـــى الصفحات الاقتصادية في الصحف، ومع كـــل مظــروف بـــه صـــور

مظروف آخر، لم يكن يسأل المسؤول عن هذه الصفحات عن قيمته، فهو يعرف أن ما فيه يحتاج إلى وقت طويل للعد..!!

بدأت النجومية تقترب من زكي عبد الوهاب، لكنه كان لا يزال يشعر أنه لم يصل إلى العتبة الأولى لتحقيق أحلامه، حتى عاد ابن الرئيس من سفر طويل في أوروبا، وعرف أن هناك من يُعدّونه ليكون الرجل الأول في مصر، وكانت الصفقة ٥ ملايين جنيه منحها للرجل الكبير الذي قاده من يده،عرَّفه إلى نجل الرئيس، مخبرًا إياه بأن زكي عبد الوهاب واحد من شرفاء هذا الوطن وأنه كافح وناضل ليعلي من تاج مصر على مفرق الشرق، وقرر أن ينضم إلينا حين عرف أننا البنّاءون الجدد لأجل هذا البلد؛ وأنه مالك الأرض التي سننشئ عليها أولى هيئاتنا لخدمة المجتمع وبناء حياة اجتماعية جديدة في مصر، وبدأت العلاقة بينهما تتوطد، ذكر في حديثه لنجل الرئيس بأنه الأقرب إلى الناس وأنه يستطيع أن يسكن قلوبهم وأحلامهم ويعرف ما يفكرون فيه.

بعد تكوين اللجنة الوطنية داخل الحزب أصبح زكي عبد الوهاب أهم أعضائها، ومنح ثقة مطلقة من ابن الرئيس الذي كان يعتقد أن عبد الوهاب سيقربه من الناس ويقرأ له ملامحهم ورؤاهم، بينما كان عبد الوهاب لا يسعى سوى لمصلحته الشخصية وزيادة أرصدته في البنوك، كلما صعد ابن الرئيس صعد معه زكي عبد الوهاب حتى صار يده اليمنى في كل شيء، وما إن بدأت أمريكا ترى أن الفساد في دول العالم الثالث يعشش داخل أروقة القطاع العام، حتى بدأ البلد في

التخلص من القطاع العام، وحسم زكي عبد الوهاب تردد المسؤولين بأنه يجب بيع القطاع العام، واشترى شركات الحديد الحكومية ليكوّن إمبراطورية ضخمة، بل ويترأس أكثر من لجنة داخل الحزب، وليس شريطة أن يفهم أهداف هذه اللجنة.

وأقنع عبد الوهاب ابن الرئيس بأن اكتساب الشعب المصـــري إلـــى صفه يتم من خلاله، ولما سأله ابن الرئيس : كيف يتم من خلالـــك، وقد أغلقتَ أبواب الرزق في وجه الغلابة بعد أن تم تخصيص شركات الحديد لك ؟!

وقتها علت الحيرة زكي عبد الوهاب وتلعثم ولم يعرف كيـــف يـــرد، ولكنه قال بعد دقائق بأن البيت من الداخل يحتاج إلى ترتيب، وذلـــك بتغيير القوائم الخاصة بالمحليات، وأن نضع الأشخاص الموثوق بهم، وكذلك يجب تغيير لائحة انتخابات الحزب فتكون كل ســـنتين لأمنـــاء العموم بدلاً من كل خمس سنوات.

لم يكن عبد الوهاب يسعى إلى وصول نجل الرئيس إلى الحكـــم، بـــل الأدهى من ذلك أن عبد الوهاب لم يكن يحب نجل الرئيس، وكان يرى أنه الأحق بحكم مصر، لذا كان يتحدث لابن الرئيس كلما التقاه فـــي أشياء، ثم يسارع إلى فعل أمور أخرى من شأنها أن تكرّه الناس ابن الرئيس بسببها، بل والرئيس نفسه، وكان يخطط لأن يتحول الشـــعب المصري كله ضد الحكم ولا يجد ملاذًا في النهاية سواه.

هكذا كان زكي عبد الوهاب يخطط لانقلاباته سواء مع النساء أو مع الساسة؛ لا فرق من وجهة نظره، لذا لم يكن أحد في مجلس الشعب

يجرؤ على قول لا في وجهه، وإذا فعلها واحد من الحيتان الكبار فإن عبد الوهاب ينتحي به جانبًا، مهددًا إياه مرة عبر علاقته بنجل الرئيس، ومرغبًا له مرة أخرى عبر ما يمكن أن يقدمه له من أمواله واتحاد المنفعة.

لم يكن زكي عبد الوهاب يؤمن بالاختصاصات داخل البرلمان، فما يختاره هو الذي يتم، لا توجد لجان أكبر من عبد الوهاب.

"رئيس المجلس نفسه ليس أكبر من عبد الوهاب"..

هكذا صرخ زكي عبد الوهاب، ثم مال بظهره إلى الوراء ومدد قدميه فوق المكتب، ثم نهض وذهب إلى قاعة المجلس حيث انتهت الاستراحة، وبدأ رئيس المجلس بأخذ الأصوات بالموافقة على التحقيق مع زكي عبد الوهاب، بينما أرسل زكي عبد الوهاب رسالة sms من هاتفه المحمول إلى ثلاثة أرباع المجلس الذين لم يرفعوا أيديهم على الموافقة، وكانت الرسالة الثانية دعوة لحفل عشاء يقيمه عبد الوهاب خصيصًا لهم في فندق هيلتون رمسيس.

هرول الجميع إلى عشاء الديوك الرومي، وبعد ترحاب بالنواب "الوطنيين" وتناول العشاء معهم، كان الاقتراح الخاص من زكي عبد الوهاب وهو طلب زيادة الأسعار، وذلك لأن المواطن محدود الدخل سوف يستفيد من هذه الأسعار مثل السولار وخلافه، خاصة بنزين ٩٠و٩٢و٩٥، وطبيعي أن المواطن محدود الدخل لا علاقة له بالسولار، ومن قاعة الحفلات الأنيقة في فندق هيلتون رمسيس، والعشاء الفاخر الذي لن يراه محدود الدخل إلا إذا دخل الجنة، وافق

النواب واقتنعوا، لكن زكي عبد الوهاب طلب من النواب ألا يتسرعوا في اتخاذ القرار لأنه يؤمن بالديمقراطية، وأنه سوف يتركهم ساعة يفكرون على راحتهم مع المشروبات والحلو.

صعد عبد الوهاب إلى الطوابق الخاصة بالأميرة هناء، والتي كانت تنتظره كعادتها، وبعد حرارة اللقاء، وأثناء استلقاء زكي عبد الوهاب على جسدها المرمري الناعم لمحت في عينيه غيمة حزن، وأصرت أن تعرف السبب، حكى لها عن العثرات التي يتعرض لها، والتي قد تبعده عن سادة المصير، قالت له: لا تضايق نفسك أنت تحميني في الداخل، وبقاؤك يعنيني، كما أتمنى أن أراك أهم رجل في العالم.
ثم تحركت من تحته، أمسكت بهاتفها، تحدثت فيه لدقائق خمس، وكان على الخط الآخر شخصية مهمة، حاول زكي عبد الوهاب أن يعرفها، لم يستطع، لكنه عرف أنها تجرى مكالمة دولية، ثم أخبرته أن يذهب إلى قصر الرئاسة في الصباح حيث ستكون كل عثراته قد انتهت.

ساعات ثلاث وزكى عبد الوهاب لم يهبط من أعلى، والنواب ينتظرون، بينما كان النائب الإخواني الذي طلب محاكمة عبد الوهاب في المجلس صباح اليوم في مبنى أمن الدولة يتم التحقيق معه لعدة تهم منها التحريض على المظاهرات وغسيل أموال، وجد منها ثلاثة ملايين في بيته، لا يعرف الرجل من أين جاءت، وتمويل حركات في الخارج ضد النظام.

صباح اليوم التالي؛ وكان يوم خميس؛ ارتفع سعر السولار، ومن ثم ارتفعت معه كل الأسعار، وزاد غضب الناس في الشارع أكثر، وبدلاً من أن يقابل عبد الوهاب في قصر الرئاسة بترحاب وتوصية، قوبل بكلمات نابية، رغم محاولاته نفى أنه السبب وراء ارتفاع الأسعار.

خرج مخذولاً، وما هي إلا أيام حتى عادت الأمور إلى مجاريها عبر توصية أخرى، وارتفع سعر الحديد أكثر وأكثر ليكسب عبد الوهاب خلال أسابيع ملايين الملايين، ثم يقدم للأميرة هناء "يخت" هدية يطل على بحيرة في لوزان بسويسرا لتقول له ساخرة من ذلك الوطن المهدر دمه يمينًا مرة ويسارًا مرات.. ساخرة منه نظامًا وحكومة وشعبًا:

- ما مصر فيها فلوس كتير أهى، والشعب المصري غنى؛ ويدفع فلوس في "يخوت".. أمال بيدعي الفقر ليه؟!!

## (١٥)

منذ كان هشام يدرس في الجامعة لم يواصل ليله بنهاره، فقد ولــى زمن الامتحانات الكئيب، لكنه يخشى أن يكون المصير الذي سيواجهه بعد سويعات أسوأ من مصير طالب ترك ورقة الأسئلة بيضاء بغيــر سوء، ومنذ قرر هشام أن يأتي بأمه لتبقى معه في شقته المــؤجرة بمائتي جنيه شهريًا في أحد الشوارع الخلفية العتيقة في حي شــبرا، بعد أن تزوجت أختاه، واحدة في بلدهم والأخرى في إمبابة، وســافر شقيقه إلى الخليج حيث يعيش هناك مع زوجته وأولاده؛ رغم أنه الأخ الأصغر لهشام، وأمه دائمة القلق عليه كلما لمحت في عينيه احمرار وعدم مقدرة على النوم، وفى هذه الليلة تقلب طويلاً في فراشه، ولم تستطع أمه مواصلة النوم لسماعها ذلك الهاجس الذي يجول بخــاطر ابنها على سريره، الذي لم تستقر حركته طوال هذه الليلــة، ويرقــد عليه أنين صامت.

- ماذا يريد مني رئيس التحرير؟

هكذا طرح هشام على نفسه السؤال وهو يرتدي جوربه الذي أصيب بقطع أسفل قدمه، ويضع الحذاء في قدميه واقفًا أمام المرآة، مندهشًا للاحمرار الشديد في عينيه، بينما ظهرت أمــه خلفــه تلقــى تحيــة الصباح، فيسارع بتقبيل وجنتيها ويديها طالبًا منها الدعاء له وبشدة. وبعد محاولات طويلة منها لتناوله وجبة الإفطار أو جزءًا منها، مــا

كان منه إلا أن أبى، وقرر الخروج من هذه الشقة المعتمة التي تزيده حزنًا، بسريرها الوحيد الذي يتمايل ذات اليمين وذات الشمال ككلب أهل الكهف، وجدرانها المتهالكة، وشبابيكها التي يرى من خلالها أرجل المارة والصبية، حيث تقع الشقة في الدور الأرضي وحجرتيها الأخريين اللذين بلا أثاث سوى دولاب يقف جزء من بابه في صبر ليقع مثل الباب الآخر الملقى على الأرض..

على الرغم من هذا إلا أن والدة هشام قنوعة وصابرة، تنام على حصيرة في الصالة، وتستريح لشقة بحمام دون مطبخ، فتضع أوانيها في ركن في إحدى الغرف، وتعيش في القاهرة مثل ريفية في قريتها، فما في البيت يكفيها حتى لو كان الكفاف.

تأمل هشام وجوه الجدران وجيرها المتساقط وسقفها المتهالك، وخرج عابرًا شوارع يجهل أسماءها، رغم سنواته المديدة في هذا الحي، ولم يفق هشام إلا حين أخبره سائق التاكسي أنه في ميدان عبد المنعم رياض.

نظر هشام خلفه ليجد فندق هيلتون رمسيس رابضًا مكانه في قوة وجبروت، واندهش لأنها تكاد تكون المرة الأولى التي يرى فيها هيلتون رمسيس في السابعة صباحًا، فلا توجد هنا سوى أصوات السيارات المزعجة بتزاحمها وتلوثها، لكن ثمة فتاة تهبط من الفندق إلى المول، تقول ملابسها كيف قضت ليلتها الفائتة، عبر هشام خلفها إلى المول حتى الدور الأخير حيث دخلت إلى مطعم ماكدونالدز وتناولت طبق سلطة مع ساندوتش كفتة كومبو، جلس هشام في مقعد

مواجه لها، طلب ساندوتش برجر، حاول التعرف إليها، حين لم يجد فائدة هبط خارج المول ليواجه مصيره.

عبر هشام الشارع بعد توقف لحظات أمام مطلع كوبري أكتوبر حيث السيارات غير العابئة بالبشر المارين في شوارع العاصمة، ثم مر بمحاذاة موقف عبد المنعم رياض، ولما جاء المتحف المصري على يساره عبر إلى الناحية الأخرى، وتاه في شوارع حي معروف، حتى وجد كشري أبو طارق على يمينه ظهرت على وجهه ابتسامة حيث تذكر أغنية شعبان عبد الرحيم عن أبو طارق ( كشري أبو طارق.. إبيه.. إبييه )، وكان العمال قد بدأوا يعدون الخلطة النادرة التي يتمتع بها كشري أبو طارق، ووجد هشام ورش السيارات لم تفتح أبوابها بعد، ثم مرّ على حاتي أبو خالد ليعبر شارع شامبليون، ثم ينحني يمينًا ليدخل إلى شارع عبد الحميد سعيد، ويتأمل الأفلام الأجنبية التي تعرضها سينما "أوديون"، ليجد نفسه في شارع طلعت حرب متأملاً بدهشة عمارات وسط البلد القديمة الرابضة كأسود رغم تهالكها، ورغم ألوانها التي حافظت على جمالها العابث بكل شيء من صحة الإنسان وحتى صحة العمارات..

ورغم أن العديد من الفتيات كن يهبطن من عدة عمارات في شارع طلعت حرب، فإن هشام لم يعرهن اهتمامًا ولا عبر وراءهن، ذلك أنه يعرف أنهن اللواتي يعملن في البارات وعلب الليل وقد غيرن ملابسهن وبدأن في الذهاب، ففي شوارع وسط البلد أجّر العديد من أصحاب العمارات سطوح عماراتهم إلى علب ليل وفنادق رخيصة،

تبدأ أسعار غرفها من خمسة وعشرين جنيهًا، ولا تتجاوز المائة جنيهًا، ورغم ذلك يسكنها أجانب؛ جاءوا مفتونين بمنطقة وسط البلد في القاهرة.

وراح هشام يتأمل لوحات الأطباء ومحلات الأزياء التي حولت هذه البنى المتحفية إلى مسوخ فقدت تاريخها، ثم عبر إلى شارع قصر النيل عبر ممر "بهلر" وعيناه ثابتتان التأمل لفخامة عمارات وسط البلد، سائلاً نفسه عن المهندس العبقري الذي نفذ هذه المباني وكيف تخيلها بعد كل هذه السنوات، وما الذي كان يتوقع أن يقوله الناس مستقبلاً عنها ؟!..

ثم أخذه من تساؤله بعد مصمصة شفتيه كلب يشم بطانية ملتحف بها رجل على رصيف الممر، لم يدهشه وجود هؤلاء الضائعين والمشردين، ولكن ما أدهشه وجود كلب في وسط البلد، بهذه القذارة والهباب الذي يملأ شعره الأبيض، ومن أين خرج وأين سكن؟

لكنه حول نظره إلى جيبة قصيرة تمر في شارع قصر النيل، وراح يتأمل هؤلاء الفتيات القادمات من بيوتهن والنعاس يمارس غلظته على وجوههن رافضًا الرحيل، وبين اللواتي يلتقيهن في مساءاته، ويتساءل كيف تعمل واحدة منهن ثلاثين يومًا تصحوها مبكرًا وتعود منها في المساء، عبر زحام وتحرشات ومعارك تقودها الفتاة المصرية في الشارع، وكأنها ذاهبة لتحارب إسرائيل، مقابل أربعمائة جنيهًا، بينما تمنح فتاة أخرى جسدها لرجل لنصف ساعة مقابل أربعمائة جنيهًا أيضًا؛ أو يزيد، وأجاب هشام نفسه في سخرية:

- آه.. لقد تذكرت شيئًا مهمًا كدت أنساه، إنه الشرف الذي لطالما عشن له وبه، فمساءات الفنادق تسرق مني قيمًا تمتع بها هذا البلد..عذرًا ففنادق القاهرة بلد.. وشوارعها بلد آخر تمامًا.

ودّع شوارع وسط البلد وهو يتأمل عناوين الصحف المعروضة على الأرصفة، وجد نفسه في شارع قصر العيني حيث قاربت الساعة العاشرة، وهو الموعد الذي حدده له رئيس التحرير.. عبر إلى جريدة "الصوت الحر" محييًا الأمن وعامل البوفيه، وسكرتيرة رئيس التحرير التي أخبرته أن الريس على وصول بعد سؤاله عنه، ثم أجلسته يحتسي القهوة معها.. وهكذا هشام يبحث عن المرأة في أي مكان حتى ولو كانت تصلي في مسجد فلا مانع من التعارف إليها، ابتسم ابتسامة ممزوجة بالذكرى حيث تذكر قول عدنان الصعيدي له : "انت يا هشام زى القبر ما بيردش ميت".

ثم نهضت بقامتها القصيرة، فنهض هشام معها، ثم قال لها مبديًا الاندهاش: لو أنى قلقت عليك وأردت أن أطمئن بعد مواعيد عملك ماذا أفعل؟

ضحكت وراق لها أسلوبه فمنحته رقم هاتفها، فقال لها:

- لابد أن اعمل لك نغمة مختلفة.

- مش قوي كده... قالتها في دلال، فأخبرها :

- إذا لم أعمل نغمة خاصة لسكرتيرة رئيس تحريرنا أعملها لمين؟.. لرئيس التحرير مثلاً؟.. وضحكا وعيونهما متقابلة، تكشف أن هشام يدخل مغامرة جديدة.

بعد دقائق دخل رئيس التحرير محييًا، وخلفــه دخلــت ســكرتيرته، وبعدها بدقيقتين دخل عامل البوفيه بالقهوة الصباحية إليــه، وبعــد حوالي ربع ساعة طلب من هشام الذي ملّ الانتظار أن يدخل عليه.

بعد أن اطمأن على أحوال عمله وإعجابه بأسلوبه وجهــده الــدءوب وقف رئيس التحرير، وطلب من هشام أن يبقى جالسًا ثم راح يحدثه عن أن الحياة خبطة صحفية، وأن تاريخ الصحفي عبارة عن أرشيف به خبطات تؤكد إن كان يستحق الصعود الحقيقي أم لا، وأن الفرص في ضوء عصر الانترنت وتدفق المعلومات باتت نادرة، قبل ذلك كان الصحفي يحمل قلمه وكاميرته عابرًا على بلاد قد لا يصل إليها أحدنا، معبرًا عنها بقلمه، وعبر صور وتراكيب لغوية لوصف المكان الــذي كان فيه، والآن تستطيع الــCNN والجزيرة والعربية والحــرة "أن تنقل إليك العالم وأنت جالس في البــانيو تســتحم، وتــدعك رأســك بالشامبو". علت شفاه هشام ابتسامة وتمنى أن يخبر رئيســه بأنــه مازال يستحم في طشت أحضرته أمه معها من قريته.

ثم راح رئيس التحرير بعد توقفه لدقائق ناظرًا من شباك مكتبه إلــى شوارع جاردن سيتى ومبانيها العتيقة يخبر هشام أنه اختــاره لـــ "خبطة" صحفية كبيرة، ولما سأله هشام عن سر اختيــاره هــو دون زملائه، أكد رئيس التحرير وهو ينظر في عينــيّ هشــام حبــه لــه وإحساسه بالأخوة تجاهه، كما أن هذه الخبطة تحتاج إلــى صــحفي جريء يفعل مثلما فعلت أنت في قرية البرجيلة، وبالإضافة إلى هــذا فأنت تجيد الإنجليزية والخبطة تسكن هناك في لندن..

**جف ريق هشام وتبلل جبينه بنقاط من العرق، وسأل رئيس التحريــر عن هذه الخبطة.**

**- ستجرى حوارًا على عدة حلقات مع عبد الكريم ناصيف**

**وقف هشام رغم عدم مساعدة قدميه له على الوقــوف، زاد عرقــه، تجمعت الكلمات في فمه فقال جملاً غير مترابطة وغير مفهومة ثــم علا صوته:**

**- عبد الكريم ناصيف الذي قتل ما يزيد علــى الألــف وخمســمائة مصري، عبد الكريم ناصيف ملوث اليــدين بــدماء أهلــي، بــدماء المصريين,, أذهب أنا لأقابله، أكيد حضرتك بتهزر!!**

**- كل الناس تعرف هذا الكــلام، لكننــا ســنقدم حقــائق مختلفــة، وبالمستندات كمان.**

**قال رئيس التحرير، ثم أردف :**

**- المستندات والأدلة التي لدينا تثبت براءته، وتكشف بأن الرجــل لا دخل له بالعبارة، رغم أنها ملكه فقد كان مسافرًا وقتها إلى نيويورك، وسوف يعطيك نسخة من الوثائق، بما فيها تذاكر الطيران التي تثبت تاريخ الذهاب والعودة، وكذلك تاريخ إقامته ومغادرته للفنــدق فــي نيويورك من خلال فواتير حساب الفندق هناك.**

**- ولماذا لا تجري الحوار بنفسك، فهذا أكثر مصداقية؟!!**

**قال هشام ساخرا.**

**فكشف رئيس التحرير عن أن إجراءه لمثل هذا الحوار سيحسبه على طرف دون الآخر، وأن رئيس التحرير يجب ألا يكون منحازًا لطــرف**

دون سواه لأجل توزيع الجريـــدة ومصـــداقيتها.. وأنـــت تعــرف أن "الصوت الحر" اكتسبت مصداقية الناس في فترة وجيــزة، والنـــاس يؤمنون بكل ما نكتب ونقول.. كما أنك تعرف يا هشام أنني رفضـــت رشوة بالملايين من قبل، وكنت أنت المحرر الذي قام بالتحقيق فـــي تلك القضية إياها، وفى النهاية سأقول لك إن عبد الكريم ناصيف يعد لك مفاجأة عمرك في لندن.!!

# ( ١٦ )

"الحداد"..هو الإحساس الوحيد الذي يتركه وجه هشام في كل من ينظر إليه، حيث يرى في عينيه وكأن شيئًا ما رحل عنه، أو موت محدق اقترب منه، أو أنه يشعر بفقدان فرصة وحيدة يمتلكها.
بين حَيرة ممزوجة بالأسى وتصور لحياته وأمه البائسة، راح هشام يفكر بين التحليق في رحاب العالم المترف، أو الانجذاب إلى العالم الكادح راح يخبر نفسه، تذكر رئيس التحرير الذي صدم فيه، راح يوجد له مبررات عن ارتدائه أكثر من قناع وتخليه عن قيم ومبادئ تربى عليها.

لا شيء سوى البكاء يسكن وجه هشام الآن، ولا شيء سوى عيون زائغة تمشي على قدميها في طرقات لا تعرف أسماءها، وبمرور الوقت شعر أن رصيده من الحزن قد قارب نهايته، ولم تتوقفا قدماه العابرتان على كل الأماكن التي داستهما قبل ذلك، سوى أمام مول هيلتون رمسيس، حيث وجد وجهًا يحدق فيه، لم يلتق ملامحه من قبل، اقترب منه الرجل قائلاً:

- عندي لك حتة حلوة، تنسيك كل هموم الدنيا؟

رغم أن هشام صال وجال في ليل القاهرة وله مع نساء قاهرة المعز غزوات، إلا أنه لم يلتق في حياته قوادًا، لذا كان يظن أن القواد لا يخرج عن روايات نجيب محفوظ: رجل بأسنان ذهبية يمط فمه حتى

نهايته حين يضحك، ويرتدى جلابية يضع يده في فتحتها، بينما تمسك يده الأخرى شاربه الطويل.. تأمله طويلاً، ثم تذكر أن اللحظات الجنسية هي الكفيلة أن تنسيه ما هو فيه، فإذا كان يبحث عن الجنس ويفعله ليحقق بهجته، فلماذا لا يلجأ إليه ليتخلص من حزنه الذي يبدو من ملامحه أنه سوف يدوم طويلاً.

اتبع هشام هذا الرجل فوجده على عكس الوصف الذي كان يظنه إذ يرتدى الرجل بنطالاً وقميصًا ونظارة بيضاء، يشعل سيجارته الـ "مارلبورو"، لا يختلف كثيرًا في تركيبته الجسمية ولا مظهره عن أي إنسان، ولا تنفرد ملامحه بشكل معين، أحس هشام أنه يشبهه ويشبه المصريين الذين يلتقيهم في الشوارع، بل ويشبه أباه وعمه، سيان بينه وبين كل البشر، وليس مثل روايات نجيب محفوظ وتوصيف السينما المصرية لشخصية القواد.

وأمام عمارة دوحة ماسبيرو في مواجهة كوبري أكتوبر وموقف عبد المنعم رياض أشار الرجل إلى سيارة تاكسي.

- دار السلام يا أسطى

بكلمة واحدة لم ينبث هشام، ظل ساكتًا يتأمل البشر والشوارع، بينما راح الرجل يحكي له عن مميزات الحتة التي لديه، وما تتمتع به من جمال، وأنها لن تأخذ منه أكثر من مائتي جنيه؛ سيأخذ هو منها مائة جنيه، بينما هشام سارح في لقائه مع رئيس التحرير وفى صورة أمه وبقائها في شقة تسكنها جدران عارية.

- بعد ما تمر على سنترال دار السلام ثم أبو أشرف أدخل تاني حارة يمين... هكذا قال القواد.

حينها انتبه هشام وسأله عن المكان، وأنه لا يذهب إلى غانيات في شققهن، لكن ما أدهش هشام وأصابه بالرعب قول الرجل إن البيت بيته هو.

حاسب هشام التاكسي، صعد مع الرجل إلى الطابق الثاني في بيت يشبه مدخله مدخل البيت الذي يسكنه مع أمه، أغلقت الشقة التي على السلم حين سمعت وقع أقدام، بينما كان باب الشقة المقابل مفتوحًا ومكتوبًا عليه: علي عبد السلام – ضابط شرطة..

توقف هشام، فأخبره القواد بألا يخاف فهذه لافتة وهمية، حيث كان يسكن هذه الشقة ضابط منذ عشر سنوات، ولما اشتريتها تركت اللافتة عليها حتى يهابني القادمون والأغراب.

على يمين الباب ترقد سبعينية، اعتدلت فور دخولهما، لمح هشام امرأة أخرى في منتصف الأربعينيات مستلقية على الأرض اعتدلت أيضًا فور دخولهما.

- أمي... أشار القواد إلى السبعينية، ودلف إلى الحجرة المجاورة لباب الشقة، وكانت المرأة الأخرى هي زوجته.

في الحجرة كانت تجلس امرأة منتقبة على سرير، أوصد الرجل الباب، جلس الثلاثة، سرح هشام في الأثاث الرخيص وصورة هيفاء وهبي شبه العارية على الحائط أعلى السرير... قال الرجل ضاحكًا تجاه الصورة :

- عشان تعرف إننا بندلعك !!

ابتسم هشام سائلاً نفسه عما جعل رجل يمارس هذه المهنة؛ وفي عقر داره، وهل تعرف أمه وزوجته ما يفعله؟.

- بالتأكيد يعرفان كل شيء، وإلا ما معنى هذه الصور العارية وإغلاقه باب الحجرة عليهما وتركه وهذه الفتاة بعد قليل بمفردهما.. أتحفـّظه القرآن مثلاً ؟!!

يخشى هشام الفقر ويتوقع أن يوصله لأسوأ الأشياء، لكن أن يحول البشر إلى قوادين، فهذا ما لم يتوقعه هشام الذي سأل نفسه:

- هل يمارس الرجل القوادة على امرأته أيضًا ؟

ثم صمت حين انتصب خارجًا وهو يقول لهذه الفتاة:

- حاسبيه إنتي، أنا لسه ما حسبتوش.

طلب منه هشام البقاء لأنه قلق، فقد مارس الجنس كثيرا قبل ذلك لكنه لم يمارسه في وجود أسرة كاملة. جلس الرجل وطلب منه ألا يخاف وكأنه في بيتهم، ثم طلب منها أن تتجرد من ملابسها، ذعر هشام من سوادها، لكن الرجل برر تلك الظلمة بقوله:

- دي هتطلع من جسمك الرطوبة، وبعدين السمراوات مية مية في الجنس، وأفضل من البيضاوات !

احتار هشام، ظل محملقًا فيها والرجل يوصد الباب وصوت المفتاح يدوي في أذنيه كأنه الرعد، قامت عن السرير نزعت العباءة السوداء التي ترتديها، فظهرت كالليل البهيم، ثم لفت بجسدها الفارع أمامه

حيث عودها النحيل وشفتيها المكتنزتين وعينيها الجريئتين، ثم قالت له :

- أنت لسه هاتبرق؟

نزعت عنه قميصه وأرقدته على السرير وضاجعته بشراسة، مارست معه كل تصرفات وسلوكيات الجنس، ما خطر على باله، وما لم يخطر، وهشام يبدو مثل الذي في حفلة زار، تتداخل الأصوات في أذنيه؛ بين آهاتها الممتزجة بالشبق وجسدها الراعد، وبين أمه ورئيس التحرير والفقر والقواد، والضرب الذي تعرض له في قريتهم..

نهض هشام بعد أن استلقت بجواره على صوت هاتفه، وما إن سمع كلمة "ألو" حتى انسلت الدموع من عينيه دون أن يدري سببًا، فقد كانت داليا هي التي تتحدث دون أن يظهر رقم هاتفها كالعادة، فطلب منها أن يراها، بعد أن تساءلت عن سر صوته الحزين، فأصر على رؤياها لأنه مهموم ولن ينسيه كمّ هذه الهموم القابعة على صدره سوى رؤيتها... وبعد أن أغلق الهاتف ارتدى بنطاله وقميصه وألقى بالنقود في وجهها وفر هاربًا، استوقف "تاكسي" مهرولاً إلى كازينو المقطم حيث سيلتقي داليا.. سفينة نجاته وسط لجة الأمواج القاهرية العاتية؛ وبعيدًا عن هيلتون رمسيس ووسط القاهرة.

- نسيت الأندر بتاعك

صرخت الفتاة من الشباك... نظر وراءه وهو يمشي في الشارع مسرعًا، فوجد الشرفات مليئة بالنساء والرجال.

- إنتوا كلكم عارفين الحكاية ولا إيه ؟... قال هشام مندهشًا، ثم أكمل مسرعًا وصعد إلى تاكسي ذاهبًا إلى كازينو المقطم مثلما طلبت داليا أن تلتقيه بعيدًا عن هيلتون رمسيس ووسط القاهرة.

بعد دقائق خمس من جلوسه شم رائحتها قبل أن يراها، حيث جلست أمامه بعد أن سلمت عليه، راح يتأمل ما ترتديه من ساعة ألماس وبنطلون وبلوزة وطقم ذهب أبيض، وراح يحسب في ذهنه ثمن ما ترتديه متوقعًا ألا يقل عن خمسمائة ألف جنيه، بينما راح يتأمل نفسه إذ يرتدى بنطالاً بمائة جنيه وحذاء بالثمن نفسه، وقميص بثمانين جنيهًا، وساعة اشتراها من بائع عابر التقاه في شارع قصر النيل، ولما سألته عن سر همومه، رد عليها بحاجته إلى اكتشاف تلك القارة المجهولة التي تجلس أمامه، والتي لم يكتشفها العالم بعد، وظل حزينًا حتى الآن.

ضحكة واحدة خرجت من بين شفتيها المدهشتين أنست هشام كل معاناته، عرف أنها تعمل سكرتيرة لسيدة أعمال عربية.. وأنها طلبت أن تلتقيه قبل أن تسافر إلى لندن لشراء حاجيات لهذه السيدة.

نصف ساعة لم تستطع أن تجلس أكثر منها رغم إلحاح هشام عليها ومحاولة إخفاء قلقها الذي بدا عليها من هاتفها الذي لم يكف عن الرنين، وسألها عنه فأجابته بأنه كل خير وسوف تلتقيه حين عودتها حيث ستسافر الأسبوع القادم.

- داليا... ناداها هشام وهو يدلف خارج النادي، بينما يحاسب على عصير البرتقال الذي تناولاه، ثم أكمل:

- أنا أيضًا مسافر لندن.

راح وجهها يشبه الربيع في ابتسامته ثم عادت إليه لتسمع تأكيدًا منه فأكد لها ذلك، ورجاها أن تمنحه وسيلة اتصال فأعطته رقمهـا فـي لندن، الذي يعمل في كل مكان حتى وهي هنا في مصر.

ألقى هشام بنفسه على الكرسي "البامبو" ناظرًا إلـى جبـل المقطـم الراسخ أمامه منذ سنوات، وراح يضحك ساخرًا مخاطبًا الجبل:

- هل حقًا أنك نُقلت بسبب دموع "سمعان الخراز"؟.. أنا أيضًا سأُنقل قريبًا لكي أمتلك هذه الفتاة، وحتى لا أتحول إلى قواد !!

راح يتأمل نفسه ويسألها :

- هل حقًا سأتخلى عن مبادئي، ووثيقة الشرف التي أبرمتها بينـي وبين نفسي؟.. ترى ما المبلغ الذي سأطلبه مقابل تلك الصفقة ألف.. مائة.. مليون، وماذا إن لم أبع؟

- ستخسر وظيفتك ويُلقى بك في العراء، وتعود كما كنت جائعًا فـي شوارع العاصمة التي لا تعرف الرحمة، إلا بكل من يمتلـك درهمًـا ودينارًا.. ثم إن الكل باعوا كل شيء لأجل لا شيء، فلمـاذا لا تبيـع شيئًا لأجل شيء؟

قال هشام.. ثم قرر أن يسافر إلى لندن، وأن يكون ثريًا لأجل داليـا، مؤمنًا بأن حواء سر السعادة، وليست سبب الطرد من الجنة...

وراح يبحث عن أول شريحة من التفاحة ليأكلها.

## (١٧)

تكفى نظرة من عينيه ليصمت الجميع، وابتسامة من شفتيه ليبتسم الجميع، فهو يمتلك على الرغم من قصره الواضح أدوات الكاريزما، ويعرف أن الشباب هم الرهان؛ لذا يقترب من زيهم فهو يرتدي في أحيان كثيرة جاكت بذلة على بنطال جينز، ويضع رابطة العنق العريضة "المودرن" وليست الكلاسيكية، ويستخدم الألوان المبهجة في لقاءاته بهم.. أما في لقاءاته بالكبار فيرتدى الرابطة الكلاسيكية، فلكل مقام رابطة عنق.. أما مقامه مع ولية نعمه فقد تعاهدا على أن يكون مقامًا بلا هندام.

"زكي بك".. كما يحب أن يناديه أعضاء المجلس الموقر، يعتريه الأرق والهم رغم ثروته التي لو أراد عدها لظل سنوات أمام حجمها جالسًا يتوه في أرقامها، وقد أدرك متأخرًا أن المال ليس حلمه، لكنه الكرسي الكبير الذي يجلس عليه الرجل الكبير، الذي يرفض الموت أو الرحيل، وقد لعب زكي عبد الوهاب سياسة بذكاء منقطع النظير، فأجهض حب الناس قبل أن يبدأ لنجل الرئيس، ليثبت إلى من يقولون إنه لا يوجد بديل في مصر أنه موجود.. وها هو البديل لمن أراد حب هذا البلد !.

تراكمت القضايا والأوراق والمستندات وطلبات الإحاطة وراح الجميع يتناحرون تحت قمة البرلمان، بينما ظل عبد الوهاب صامتًا تحمل

شفتاه ابتسامة سخرية، ناظرًا إلى الأفواه الصارخة، وإلـــى شـــرفة الصحفيين التي تسجل هذه الصرخات، ترك الجميع يتناطحون وأجرى مكالمة من هاتفه المحمول بأحد مستشاريه، وبعــد دقــائق وصـــلته رسالة sms من سبعة مقاطع بها الترياق المنقذ بالنسبة له، أراد أن يطلب الكلمة، لكن وقت الاستراحة أزف. أثناء الاستراحة طلب مـــن نائب المجلس إعادة مداولة النصوص التي ستقر، وراح يـــرد فـــي الجلسة الختامية على كل ما صرخ به النواب بأدلة وحجج قانونيـــة وبتخريجات رائعة، صمت الجميع وعلت وجوههم الدهشة واعتـــراهم الارتباك، بينما ينظر إليهم بابتسامته الساخرة كنجم سينمائي تصـــدر إيرادات الشباك وحقق مجده في المشهد الأخير.

أيام ثلاثة بلا مجلس شعب وبلا وجوه النواب التي تعكر مزاجه، ماذا يفعل فيها ؟.. تعتريه هذه الأيام حالة ملل من الأميرة هناء، لا رغبـــة عنده لمضاجعتها، وحالة روحانية تسيطر عليه منذ التفت بابتســـامته الساخرة إلى النواب، ووجدها جالسة بين اثنين من شيوخ النظام في مصر رغم عمرها الذي توقف عند الأربعين سارحة بابتســـامة مـــن فمها الصغير، ووجنتيها الضاربتين بعمق في جمال المرأة المصرية، وعينيها الفرعونيتين اللتين تنتميان إلى حتشبسوت ونفرتيتى. توقف متسائلاً : كيف لم يرها قبل ذلك، وما الذي تحمله هذه الابتسامة فـــي لحظة إلقائه للكلمة، وفيما هي تفكر الآن ؟

هي مبهرة لكل من شاهدها تتحدث برقة وأنوثـــة يليقـــان بأحاديـــث العشاق أقرب منهما بنائبة مجلس موقر، فتراكيبها اللغوية معزوفـــة

موسيقية شديدة الخصوصية لا يستمع لها أحد سواها، وزكـــي عبــد الوهاب يؤمن تمامًا بأن كل شيء مبهج في الحياة ليس من حق أحد أن يمتلكه سواه، أسوار البهجة محاطة بها، لذا يجب أن يحط أسوار الحديد فوق تلك المنطقة المبهجة.

لابد من حبكة الرواية وترتيب مشاهدها دون تردد أو لخبطـــة فـــي مشهد واحد فيها، فكان المشهد الأول لفت نظرها بالبحث عن منـــديل لمسح نظارته، وهى تعبر أمامه بجيبتها القصيرة التي تكشـــف عـــن ساقين رائعتين راح ينظر لهما خلسة، وهو يتلفت حوله، وفـــى يـــده النظارة، بينما راحت تفتح حقيبتها، أمسك بـــأطراف أصـــابعها مـــع المنديل الخارج من الحقيبة شاكرًا لها، متأسفًا على أصابعه العامـــدة للمس أصابعها، ثم سائلاً لها عن رؤيتها في هذا النقاش المحتـــرم. راحت تفسر وتوضح بينما هو غارق في عينيها، غير مـــدرك لمـــا تقول، حتى انتبه فجأة لصمت شفتيها، فطلب منها تشريفه في مكتبه لتناول فنجان من القهوة: "لأن لي وجهة نظر تختلف عـــن وجهـــة نظرك"..

رغم ذهابها للنقاش إلا أن فنجان القهوة لم يحمل ســـوى ضـــحكات ونظرات إعجاب متبادلة بين مال ومال، بين سلطة وسلطة، بين قوة وقوة، فمن قال إن الحيتان تتقاتل في البحر، الحيتـــان تتقاتـــل فـــي مجلس الشعب، وتعجب إذا كان كل حوت يملك جزءًا من هذا البلـــد، لذا بادلته نفس الإعجاب مع تبادل الأرقام "البرايفت".

وراحت المكالمات تطول مع المساءات الصيفية، مساءات صار الحب فيها رفاهية، فكل منهما ينظر من شرفته ليرى العالم الذي يمتلكه، ولم يعد ينقص كل منهما سوى الحب، وهي والدلافين وبقر البحر يقيمون علاقات من جنسهما، ولكن عبد الوهاب لا يريد الحب وحده، وتعلق المعشوق بمعشوقته، فابن عربي رحل منذ زمان طويل، يريد الحب ومعه الامتلاك، لكن حب هكذا بصيغة المفرد فلا، ولأن كل عاشق يعرف المسلك إلى عاشقه ويتمنى الأفضلية، فقد أعطاها عبد الوهاب أفضلية أن تكون زوجته مقابل شرطين اثنين: أولهما أن تستقيل من مجلس الشعب وثانيهما أن يبقى زواجهما طي الكتمان حتى يرتب أموره.

- صرفت ١٠ ملايين جنيه كي أحصل على عضوية مجلس الشعب، وإذا كان في السر فيجب ألا يقل مؤخر صداقي عن ٢٠ مليون جنيه.

- موافق...

قالها بلا تردد، فأحست أنها الأبهى والأجمل، وأنها العروسة المتوجة في بر مصر كله، وما هي إلا أيام حتى كانت معه في جزر الباهاما تقضى أجمل أيام عمرها بعد أن قدمت استقالتها لرئيس المجلس دون تردد، لأنها كانت تعرف من البداية أن زكي عبد الوهاب أكبر من مجلس الشعب، بل وأكبر من الحكومة نفسها، وأنها معه ستكسب الكثير، وكن يعلم فقد تكون سيدة مصر الأولى ذات يوم، ولما لا وهى تراقب خطواته واتجاهات بوصلته وما يفعله في مجلس الشعب أمام عينيها كل يوم، وما يفعله في البلد كلها أمام عيون كل المصريين.

ولكن الحياة لا تهب شيئا دون ضريبة، فعبد الوهـاب كـان متقلـب المزاج، كل يوم بحال كحال العاصمة. لم تتوقع أن تقضى أيام عسلها في هم، فهو يريد أن يسيطر وأن تكون الكلمة له، وألا تعرف مع من يتحدث في الهاتف طوال الليل، ولماذا يمسح الأرقام التي يهاتفها ؟!

لم يكن غموضًا سياسيًا، بل كان غموضًا حياتيًا، هكـذا رأتـه حـين اقتربت، وهكذا لم تحس بوجوده بجوارها، لم تشعر بامتلاكـه..هـو فقط الذي امتلكها.

حاولت تحمله، وحين يضيق بها الحال ويعلو صوتها في وجهه تثـق أنه لن يضحي بعشرين مليون جنيه ويطلقها، ولكن ما لـم تتوقعـه قدوم امرأة يتبعها حرس أمريكان، يدخلون، يعجز لسانها عن الكلام، تنظر إليه بعينين مشدوهتين، بينما تلك المرأة تنظر إليه في احتقار، وليس على لسانها سوى كلمة:

- طلقها.

لم تعرف إن كانت زوجته أو عشيقته..أم من تكون تلك المرأة التـي صمت أمامها ولم ينبث، وهو الذي ينافح ويذود عن قضـيته أمـام الحكومة ورئيس المجلس ورئيس الـوزراء كلسـان النـار لا أحـد يستطيع إيقافه، جرت نحوه، أمسكها الحرس، لم تستطع الحراك، لـم يفعل شيئًا سوى قوله وهو ينظر في الأرض:

- أنتِ طالق... ثم رحل مع سيدته وحرسها دون صوت، بينما تركها ملقاة على الأرض كريشة في مهب الريح ملت حملها، فأسقطتها في هذا المكان، وراحت تتلاشى مثل رمل البحر بعدِ موجةٍ عاتيةٍ.

## (١٨)

قبل أن يدلف هشام إلى مدخل الهيلتون تفاجأ بعدنان في مواجهتـــه، احتضنا بعضهما ضاحكين، عرف من عدنان أنه ذاهب إلى دقدق في بولاق أبو العلا؛ صاحب عربية الفول التي لا يعلوها طبق فول آخـــر بالزيت الحار، وقبل أن يعرجا على ميدان عبد المنعم رياض، وجـــدا عيسى فهمي صديقهما الخليجي الذي يجيء كل عام في الصيف ليقيم في هيلتون رمسيس، يقف أمام الكشك الكائن في بداية شارع المول، ولأنه خليجي فقد كان سريع التعارف على بنات الليل، ولـــه معهـــن غزوات، وبعد ترحاب وسلامات حارة أخـــذ عيســـى كـــروت شـــحن الموبايل من الكشك، وقرر تناول العشاء معهما على عربيـــة الفـــول بدلاً من العشاء في هيلتون رمسيس.

وقف ثلاثتهم يغمّسون الفول فوق عربية دقدق والمخلل والماء البارد من الكولدير الذي أمام المسجد، الذي تقف عربية الفـــول بجـــواره، تحدث عيسى مذكرًا هشام بمواقف مدرسة الفلسفة، وضحك عـــدنان وهو يتساءل مندهشًا عن هذه القصة مؤكدًا أنها غزوة من غـــزوات هشام التي يعود فيها بخفي حنين، لكن عيسى أكد له أن الموقف غير ذلك تمامًا، وبدأ قوله بأن الصديق له عند صـــديقه ثلاثـــة أشـــياء، والعادة أن المصري هو الذي يخدم الخليجي في هذه المسألة، ولو أن هشام سافر إلى بلد عيسى، فعيسى هو الذي سيأخذ هشام إلى أماكن

المتعة، ويعرفه على هؤلاء، لكن هشام كان يؤمن أن الرجل الخليجي بمثابة الطعم لاصطياد مثل هذه النوعية من الساقطات، وتوقف عيسى للدفع لكن هشام أصر.

- إن زين.. طبعًا لازم تدفع إنت لأنه فول لكن لو كان كباب كنت عملت نفسك جعان وخلصت أكل بعدنا كلنا.. قال عيسى ضاحكًا وعدنان ثم انصرفوا للجلوس على مقهى مجاور لعربة الفول أغلب زبائنه من السودان، مما أدهش عيسى، علق عدنان ضاحكًا وهو ينظر إلى الزبائن :

- ده النوع اللي بيحبه هشام.. ثم طلب من عيسى أن يكمل القصة.. رفع عيسى جلبابه الأبيض الخليجي، وهو جالس على كرسي خشب ليظهر كالسونه الأبيض، وهو يرتدى "شبشب" جلد في قدميه الكبيرتين المناسبتين لجسده الضخم بطوله الفارع وبشرته البيضاء، ثم أكمل :

- صعدت وهشام في أسانسير الفندق، فوجئنا معنا بامرأة في بداية الأربعينيات من عمرها، لازالت تحمل جمالاً من أيامها الخوالي، نظرت لي بعينيها باسمة، رحبتُ بها، تجاوبت معي، نظرت إلى هشام فوجدت السعادة مرتسمة على وجهه، وسألتها إن كانت تحب أن تأتى معنا، يبدو أنها كانت ذاهبة لمواعدة في إحدى غرف الفندق، رحبت بالصعود إلى غرفتي في الطابق الثاني والعشرين، ولما سألتها كيف هربت من موظفي الأمن، فقالت إن لديها صديقًا منهم تعطيه مائة جنيه في العبور الواحد.

دخلنا الحجرة، جلست معنا، سألتها على وظيفتها فادعت أنها تعمـل مدرسة فلسفة بالنهار وأكروبات بالليل. ثم قالت: ما الذي تريدونه؟ وضعتُ يدي بين نهديها وقلت لها هذا ما نريده، ضحكت واتفقنا على السعر، وهو ٢٠٠ دولار في الــ"one shot"، أخبرني هشـام أنـه يريدها، نهضت خارجًا لأخبرها بأني لا أريد ولكن الأستاذ هشام هـو الذي يريدك، ثم نزلت إلى الطابق الرابع حيث كنت قد حجزت غرفـة لصديقتي لتقيم فيها على راحتها، وحتى أستطيع الذهاب إليها في أي وقت، وإذا أردت المجيء بفتاة أخرى وجدت غرفتي جـاهزة، وظـل هشام معها ساعة، ثم أخبرها بأن الغرفة غرفتـه وأن هـذا موعـد تنظيف الغرفة، حيث أخبر موظف خدمة الغرف بأن يجيء بعد ساعة قبل أن يلتقيها وأن عليهما المغادرة الآن إلى الطابق الرابـع حيـث يوجد صديقه الذي سيمارس الجنس معهـا أيضًـا، لكنهـا رفضـت الخروج قبل الحصول على المائتي دولار، ارتـدى هشـام بنطلونـه وقميصه، لكنه لم يستطع ارتداء حذائه، في هذا الوقت كـان هنـاك صوت خارج الغرفة حيث كانت إحدى موظفات خدمة الغرف تمر في الطابق، ناداها هشام وأخبرها بأنه يريد تنظيف غرفته الآن، وعليهـا أن تأتي بعربة التنظيف، ثم طلب منها أن تخـرج إلـى الأسانسـير وسيتبعها فورًا، وبالفعل خرجت في اتجاه الأسانسير، وخرج هشـام في اتجاه سلالم الفندق، وفى رجليه شبشب الحمام، ولم يتوقف عـن الهبوط من الطابق الثاني والعشرين إلا في الطابق الرابع.. فتحتُ له الحجرة مذهولاً، أخبرني أن الأمور على ما يرام، فقط بـاب الغرفـة أغلق من الخارج وأنه صرف مدرسة الفلسفة ولم يتم شيء بينهما.

خرجتُ معه لنعود مرة أخرى إلى غرفتي، أثناء صعودي الأسانسير من الطابق الرابع تراجع هشام إلى الخلف لأجد داخل الأسانسير مدرسة الفلسفة ومعها رجل خليجي، وإذا بها تفاجئني القول:

- هل يرضيك أن صاحبك يأخذ متعته منى ثم يهرب ولا يعطيني ما اتفقنا عليه... ثم انهارت في موجة بكاء حارة، بينما الرجل يمصمص شفتيه، وأنا لا أستطيع أن انطق بكلمة واحدة.

تنكرت لها وأخذت أحدثها بلهجة خليجية قحة حتى لا تفهم كلامي، لكنها جاءت معي إلى الدور الثاني والعشرين لنجد ثلاثة من أفراد الأمن في مواجهتنا وإذا بها تتعقبني لتقول لي: اتصل بصاحبك.. ممكن يكون تحت، قلت لها: صاحب من ؟! ما أعرف عن من تتكلمين ثم تركتها ليسألها رجال الأمن عن وجهتها ويدخلونها معهم في الأسانسير حتى تخرج من الفندق كله.!

استلقى عدنان من الضحك المتواصل وهشام يضحك ولكن في خجل أراد عيسى تغيير الموضوع لكي يتلافى خجل صديقه أمام أصحابه، سأل عدنان: صحيح من الذي بنى هيلتون رمسيس؟

أجاب عدنان: بعد ما الرئيس السادات فتحها بانفتاحه الشهير تم بناء الفندق عام ١٩٨١ بنته شركة سويسرية، وكلفهم حوالي ١٠٠ مليون دولار وأنشئ في ثلاث سنوات.

- مو معقول.. قال عيسى.

أكمل عدنان : وقتها الناس اندهشت ولم تصدق أن فندق ٣٠ دور و٨٥٩ غرفة ينتهي بهذه السرعة.

ضحك هشام قائلاً: ماشى يا عم القاموس.

ثم نهضوا إلى مول الهيلتون، لكن هشام أحس باختناق داخل المـول فعرض عليه عدنان أن يذهبا إلى عمارة دوحة ماسبيرو التـي يقـيم فيها، لأنه لم يسبق إلى هشام أن ذهب إلى مسكنه، وأن يتحدثا فـي هدوء.

هشام ذهب معه وبداخله سعي حثيث لاكتشاف هوية عدنان، وإن كان بمقدوره أن يدله إلى حيث يذهب، وبعد أن اتخذا طريقهما إلى عمارة دوحة ماسبيرو وصعدا إلى الدور الثاني في ظلام مطبق، لاح علـى البعض وميض نور من لمبة صغيرة، مشيا تجاهها، صـرخ هشـام مذعورًا وقفز حوالي مترين، شيء ما أمسك به من قدمـه ؛ لكـن ضحكة يتبعها سعال تبعت صرخت هشام، حيث كان أحد العمال يقضى حاجته، وأراد مداعبة عدنان فجاءت في صديقه، وقفا أسفل اللمبـة محيين جمع غفير من الصعايدة الذين تمدد بعضـهم علـى كـراتين افترشوها تحتهم، وبعضهم الآخر جلس يدخن "الجوزة".

انفرد عدنان بهشام جانبًا، وأخبر هشام بأن هذا مقره، وعليـه أخـذ راحته، جلس هشام وسند يده على وسادة عدنان التي لـم تكـن إلا مجموعة من الكتب، راح يتفحصها، وراح يحرك ناظريه بين عـدنان والكتب، والذي أجابه ضاحكًا بألا يندهش من عمله في طائفة المعمار وتجواله في أروقة مول الهيلتون، فهو لا يسـتطيع النـوم دون أن يقرأ.. وهنا أدرك هشام أن عدنان هو الذي يمتلك النصيحة الصحيحة من بين أصدقائه، وبعد أن حكى له هشام سر حيرته، اعتدل عـدنان

وهما يشربان القهوة وقال له بلهجته الصعيدية: لا تتردد في فرصة مثل هذه يا واد عمى، فرئيس التحرير إنسان شريف حسب ما قلت لي من أنه رفض رشوة من ولد المحرقين إياه، لذا لن يبيعك أو يبيع نفسه، كما أنك ذاهب هناك للبحث عن الحقيقة، وهذا ما خلقت الصحافة لأجله، كما أريد لفت انتباهك، ففي النجع الذي جئت منه كان هناك رجل فقير يحب الناس ويتمنى قضاء حوائجهم، ولكنه لا يستطيع لأن الحاجة والفقر أضعفاه فسافر لإحدى دول الخليج وعاد أثناء غزو العراق للكويت ومعه سيارة بها ١٠ كيلو دهب، باعها وأصبح ثريًا واعتبر ما حصل عليه غنيمة حرب رغم أنها سرقة، ثم راح يحل مشكلات الناس، فالأموال تمنحك القوة في مواجهة هؤلاء الفاسدين في البلد، وعدم الحاجة تجعلك أكثر ثراء.

راح هشام في نوبة صمت طويل، ثم ترك عدنان وخرج إلى ميدان عبد المنعم رياض، وكان الليل قد ولى ولاحت تباشير الصباح، لفحته نسمة هواء عابرة ففتح ذراعيه أمام تمثال الشهيد عبد المنعم رياض وصرخ:

صباح الخير أيها الشهيد

صباح الخير أيها الوطن

صباح الخير أيها المتحف

وأثناء صراخه عبرت بجواره فتاة ليل، نظر إليها وصرخ أيضًا:

صباح الخير أيتها الليليات اللاتي تسكن أسِرَّة الفنادق حتى الصباح.

أشارت الفتاة ويدها بجوار رأسها على أنه مجنون، وأشارت إلى تاكسي، بينما غاب هشام في شوارع وسط البلد حتى وصل إلى مقر جريدة "الصوت الحر" في شارع قصر العيني، لم يكن أحد هناك سوى الأمن وعمال النظافة وعامل البوفيه الذي رحب به واستغرب تبكيره، لم يعلق هشام سوى بطلب فنجان قهوة، وظل يشخبط على ورقة بيضاء أمامه، حتى بدأ زملاؤه المجاورون له في مكتبه يأتون واحدًا بعد الآخر، وتحول الهدوء والصمت القاتل إلى صخب الألسنة وعنف الأقلام على الأوراق البيضاء والأيادي على أجهزة الـ"لاب توب "، وراحت أجهزة الهاتف ترن بلا انقطاع، وراح زملاء هشام يتملون الأخبار كل حسب عمله بلا انقطاع، حتى لمح هشام رئيس التحرير قادمًا بأناقته غير المعهودة فيه، والتي ظهرت عليه مؤخرًا لظهوره في العديد من الفضائيات، هرول هشام خلفه:

- ياريس أنا موافق على السفر، فمتى؟!

- قريبًا.

قال له ثم ابتسم مقتربًا منه مكملاً قبل أن يدخل إلى مكتبه:

- أرجو ألا تنسيك فرحة السفر إلى لندن أن تقول صباح الخير.

## ( ١٩ )

ورث رامي فكري الجاه والمال والعز والسلطة، لكنه كان بحاجة إلى شيء آخر عجزت نساء الأرض عن توفيره له، فقد مات أبوه وترك له مئات الألوف التي لم يعرف استغلالها، أنفقها في مشاريع وهمية وقت أن كان طالبًا في كلية الشرطة، وحين تخرج كان "مول هيلتون رمسيس" محل خدمته بعد واسطة كبيرة استطاعت نقله إلى هنـــاك، وراح بهيبة بدلته البيضاء يصطاد فتيات الليل ويقيم معهن علاقـــات طويلة، بل إن العديد من فتيات الليل غيرن محل نشاطهن إلى فنادق أخرى لإحساسهن بالتلصص عليهن دومًا من قبله.. وقد التقى هشام ورامي ذات ليلة بعد مشادة عنيفة أدهشت رامي عن وقوف شـــخص ما أمامه وفي عرينه، ولما عرف أن هشام صحفيًا راح يوجـــد حـــلاً للأمور، خشية أن يؤدي خبر صغير عن ضابط يصطاد فتيات الليـــل بدلاً من منعهن من مزاولة نشاطهن؛ إلى ضياع مستقبله، ثم أعجبته حميمية هشام وعلاقاته المتعددة بفتيات هيلتون رمســيس، فراحـــت الصداقة تتوطد بينهما يومًا بعد يوم، بل وراحا يتبادلان النساء معًـــا، ومن ثم أمد هذا الأمر هشام بغطاء من الحماية، جعلـــه يزيـــد فـــي بجاحته في التعرف إلى المحترمات وغير المحترمات.

ولم يكتف رامي بفتيات هيلتون رمسيس، بل كانت له طرق أخرى في اصطياد بنات الليل، فقد كانت له حاسة غريبة يستكشف من خلالهـــا

إن كانت هذه الفتاة فتاة ليل أم لا، وكثيرًا ما كان يهــرول بســيارته خلف فتيات في سيارة أجرة؛ مطالبًا السائق بأن "يركن على جنــب" ومدعيًا الحديث في اللاسلكي: "قبضنا على الهدف يا باشا"، ويثبــت الفتاة والسائق، ويأخذها إلى سيارته، معنفًا إياهــا، واعــدًا بالويــل والثبور، وتبدأ دموع الاستعطاف والمطالبة بالسماح، وأنها اتجهــت لهذه المهنة لتصرف على إخوتها الصغار، أو لإجراء عمليــة لأمهــا المريضة لتنقذها من بين براثن الموت التي لا ترحم.

يعرف رامي تلك القصص لأنه سمعها مــرارًا، يتركهــا فــي ألمهــا ونحيبها المصطنع حتى تنتهي تمامًا ولا تجد ما تقوله، تندهش حين تمر سيارة رامي أمام قسم شرطة مدينة نصر ولا تتوقف، تخرج من رعبها سائلة إياه عن المكان الذي سيأخذها إليه، يخبرها أنه ذاهــب إلى شقته في الحي العاشر لقضاء ساعتين، "أم تودين الذهاب إلــى القسم للبقاء سنتين"، فتجيبه "الساعتين أحسن.. زي ما أنت عايز أنا معاك يا باشا"، ثم تمد يدها إلى فخذيه مداعبة إياه، قائلة له "مــش كان قلت من بدري.. وقعت ركبي" فينظر لها شاخطًا "بت".

هكذا اعتاد الإيقاع بضحاياه من خلال بذلته الرسمية. وخلاف شــقة الحي العاشر، لدى رامي شقة أخرى في شارع عباس العقــاد يقــيم فيها مع والدته التي تنتمي إلى عائلة ذات جذور أرستقراطية كبيــرة تاريخها ضارب في المكانة والثراء، ورغم إلحاح أمه الــدائم علــى زواجه ومحاولة إقناعه بالذهاب إلى نادى الجزيرة كل جمعة ليختــار

الفتاة التي تعجبه، إلا أنه يظل نائمًا يوم الجمعة حتى الخامسة مساء، غير مستجيب لإلحاحها بأن يذهب لصلاة الجمعة أو حتى إلى النادي. يعيش حياته على طريقته هو لا كما يريد الآخرون.

وذات ليلة التقى هشام أمام مول هيلتون رمسيس، حاول الاتفاق على فتاة رائعة الجمال، لا تعير اهتمامًا لأحد، تأتي منذ يومين إلى المول، وتدخل محل فساتين الزفاف في الدور الأرضي، وتظل ما يزيد على الساعة تختار في حيرة بين أنواع الفساتين ومعها صديقتان لا يستجيبان لأحد. وتراهن هشام ورامي عليهن، لكن رهانهما باء بالخسران، قرر رامي أن يأتي بهذه الفتاة مهما حدث، انتظرها وصديقتيها أمام المول حتى صعدن إلى سيارة خاصة بهن، صعد هشام مع رامي في سيارته وتتبعا سيارتها التي اتجهت إلى مبنى التليفزيون ثم اتجهت إلى يمين المبنى حيث حي بولاق أبو العلا، ثم استدارت وعادت إلى ميدان عبد المنعم رياض وصعدت فوق كوبري أكتوبر في اتجاه مدينة نصر، ورامي وهشام وراءهن. وفوق كوبري أكتوبر أخرج رامي جهازه اللاسلكي وهو يلوح لهن ويطالبهن بالوقوف على جنب، ثم أمرهن بالنزول من السيارة وهو يكرر جملته "قبضنا على الهدف يا باشا.. كله تمام" ثم دفعها في سيارته بالقوة، بينما صديقتيها يعلو صوتيهما، وقبل أن يصل رامي وهشام ومعهما الفتيات إلى منزل صلاح سالم، كان كوبري أكتوبر مغلقًا بعدة سيارات شرطة من بدايته حتى نهايته، أحس هشام بالخوف، وما إن وقف

الشارع المزدحم حتى انسل من السيارة تاركًا رامي يواجه مصـــيره قائلاً لرامي وهو يجري: "لن أشارك في أفلام أمريكية"..

فوجئ رامي بعدد من البودي جارد يوقفونه في أول إشارة من صلاح سالم، وينزلونه من سيارته ويضربونه بعنف، ثم حطمـــوا ســـيارته وأخذوا الفتاة التي اتضح أنها ابنة مسؤول كبير سابق، وتم تحويـــل رامي إلى سلسلة تحقيقات طويلة، تدخل خالـــه لـــدى العديـــد مـــن المسؤولين فتم تمزيق قرار شطبه من الداخلية، نقل إلـــى الواحـــات ليظل فيها ثلاثة أشهر، واستطاع بالضغط على أمه أن تتوسط له بأن يعود إلى القاهرة، ولكن في قسم شرطة الهرم، ورغم سبق وصـــول سيرته السيئة إلى زملائه إلا أنه لاقى ترحيبًا كبيرًا منهم!. ربما لأنه سليل عائلة أرستقراطية وسيكون له جدوى يومًا ما، أو ربما لتسرب المرض الطبقي الذي يفض طرف العيون - ولو عمدًا - عن مساوئ تلك الباشاوية التي اتسعت مساحتها في ذلك العهد، بل وبشراسة لـــم تكن تعرفها قاهرة المعز زمن الملكية نفسها.

ومَثُلَ رامي للعلاج النفسي تحت إلحاح أمه ؛ بين يدي طبيب نفســـي شهير في وسط البلد لتلقي جلسات علاج لمدة يومين أسبوعيًا، ربما يستطيع معرفة الأسباب الحقيقية لتناقض شخصيته!

لم يكمل رامي عامه الأول في قسم شرطة الهرم حتـــى كـــان وزيـــر الداخلية يوقع على قرار فصله من الشرطة نهائيًا ودون رجعة، حتى لو توسط لعودته رئيس الجمهورية ذاته، وكانت القضية التي تـــورط فيها هذه المرة لا تتعلق بقضية واحدة ولكنها عدة قضايا، فقد ســـهل

هروب فتيات يعملن في شارع الهرم في تهريب المخـــدرات مقابـــل قضاء عدة ليال مع كل منهن، وبعد عام من السجن خرج رامي إلـــى مول هيلتون رمسيس يقضى فيه ليله ونهـــاره فـــي شـــقته بـــالحي العاشر، رافضًا الإقامة مع أمه رغم إلحاحاتها الطويلة عليه، بـــل إن أمه تحدثت لأكثر من مرة مع هشام، الذي تعرف إليها أثنـــاء أزمـــة ابنها الأولى، لكي يقنعه، لكن رامي كان حادًا مع هشام طالبًـــا منـــه عدم التدخل في الأمر، وكان هشام يســـتجيب لرامـــي مـــدركًا تلـــك السيكولوجية العنيفة التي تربى عليها.

يمتلك رامي سيارة يزيد ثمنها على المائتين وخمســـين ألفًـــا، إلا أن القناعة لا تعرف إلى قلبه سبيلاً، فهو كاره لكل من تتفوق "ماركـــة" سيارته الخاصة عليه.. وينسحب هذا الأمر حتى على الملبس، فهـــو كاره لكل من يرتدى ملابس تفوق ملابسه.

وقد تعرف رامي على عيسى الخليجي من خلال هشام، وأقام علاقـــة قوية معه، وعرفه عيسى بدوره على العديد من الشيوخ الذين رحبوا بوجود رامي فيما بينهم، والذي يتباهى كثيرًا بمغامراته النسائية..

أدمن رامي مضاجعة النساء وممارسة الجنس إلى حد الهوس، وراح يأتي بنساء ويمارس الجنس معهن في حجرات أصدقائه في الفنـــادق الخمس نجوم ويوفر على نفسه مشوار الحي العاشر، ولا يدفع لهن، فهو الآن بلا سلطة ولا يستطيع الادعاء بأنه ضابط لأنه مضى علـــى إقرار يفيد ذلك؛ وسيذهب وراء الشمس لو كررها، كما أن العلاقـــات مع العرب تبعده عن أعين رجال الشرطة، وتجعله يصاب بإحســـاس

السمو عن غيره من المصريين الذين طردوه من بينهم، لكن بعض الشيوخ يحبون التسيد وقضاء المتعة بمفردهم دون مشاركة أحد، خاصة لو كان مصريًا، وراح رامي يستجيب وينفذ ما يطلب منه، وبدأ يجلب العديد من فتيات الليل إلى بعض الشيوخ العرب، الذين يأتون للسياحة الجنسية في القاهرة، مقابل أن يحصل على أتعابه، ومن ثم أصبح رقمه متداولاً في أغلب دول الخليج، وقبل أن يقرر شخص ما المجيء إلى مصر فإنه يجرى مكالمتين مهمتين إحداهما للفندق لحجز الجناح الخاص به، والأخرى لرامي لحجز أكبر عدد من فتيات الليل لقضاء أجمل الليالي الصيفية في قاهرة المعز.

وأصبح لرامي أكثر من رقم هاتف وأكثر من جهاز محمول، وأكثر من سيارة، لكنه لم يكتفِ، كان إحساسه بأن أي زبال في الشارع أفضل منه لأنه لا يرفع الإيريال يصيبه بالألم والإحساس بالغثيان، يريد أن يكون الأهم، والأقوى، والأفضل، لذا راح يعامل الناس بعنف وقسوة، وكلما تذكر نظرة أحد الشيوخ له، والتي تقول له : كم تريد يا قواد ؟! كلما أمعن في قسوته على بسطاء الناس، وراح يصنع حياة من وهم، ويعيش في دخان هذا الحريق الداخلي، يتحدث أمام هشام عن سطوته وقوته وأمواله، بل لم يخجل وهو يخبر هشام بأنه وسيط بين عاهرات ليل وشيوخ عرب، بل ولم ير ذلك عيبًا، فسياسة مصر في ذلك العهد "شيلني وأشيلك.. وصاحب المال هو الذي يحكم.. وهو الأقوى"، وحاول هشام أن يبعده عن طريقه الخاطئ، لكن رامي كان قد تجاوز كل إشارات المرور الحمراء.

## ( ٢٠ )

أنف رفيع طويل مدبب فوق ملامح تسكن بهوًا فرعونيًا تبدو والــدة هشام، وهي تنظر من نافذتها في آخر الليل حيث لا يبدو سوى ضوء خافت يظهر على البعد، يكشف وجهها الأسـمر وذقنهـا العـريض وشعرها الأبيض المتقصف، خوفها على هشام أكبر من حنينها إليه، منذ قرر ابنها العمل في بلاط صاحبة الجلالــة وهــي تكــره الــبلاط والجلالة، وتدعو الله أن يجنب ابنها أي صــاحبة، هــي تعــرف أن الصحافة همٌّ كبير ومتاعب لا تنتهي، وقد عايشت مشــكلات ابنهــا؛ وتجاوز قلقها قلقه، ولكم تمنت أن يمتهن هشام الطب أو الهندسة أو الزراعة، ويبتعد عن هم القلب اليومي، ورغم كل هذا القلق والهــم، على وجهها نقوش محفورة عبر أخاديد طويلة تبدأ من جانب العينين وتنتهي أسفل الفم الذي قليلاً ما ضحك، إلا أن هشام لم يخبرها سوى بجزء صغير من المآسي التي تعرض لها.

وما إن لمحته حتى تهللت أسارير وجهها، وراحت ابتســامة تزيــل الشحوب العالق منذ زمن على ملامحها، سارعت بفتح البــاب لــه، احتضنته، سارعت بتجهيز عشاء له، لا يأكله كعادته، إذ يمر علــى المطاعم في غدائه وعشائه ولا يريد أن يكسفها ولو بلقمة واحدة.

رغم أن هذه المرأة كانت باعثًا على تمسكه بمبادئه وقيمه وحرصــه على مصداقيته في الكتابة، إلا أن هشام قرر أن يبيع كل ما يملك من

قيم ومواثيق شرف هذه لأجل هذه المرأة، ولأجل أن تعيش ما تبقى لها من عمرها في رغد عيش وفى بحبوحة من حياة قاسية كلها ألم وشقاء، وفاتحها في موضوع سفره إلى لندن، وهى التي لا تعرف شرق الدلتا من غربها، وحياتها تتلخص في مكانين، قريتها، والحارة التي تسكنها في القاهرة، والأمكنة الأخرى بالنسبة لها بحر واسع لا تقربه خشية الغرق، لذا صرخت: "كيف تذهب إلى هناك، والعراقيون يموتون كل يوم، أخاف أن يرمي عليك الأمريكان قنبلة"، فراح هشام يكشف لها عن الفرق بين لندن والعراق، وأن هذه في قارة، والثانية في قارة أخرى.. ظلت دائمة التساؤلات حول من سيكون معه، ولماذا يسافر، ومن سيلتقي؟ فأخبرها أنه ذاهب لإجراء حوار مع عبد الكريم ناصيف، فقالت له: وهذا وزير إيه؟

- هذا وزير الموتى الذين ماتوا في عبارته الشهيرة وهم قادمون من الغربة.

صرخت وضربت على صدرها، لانعرف أيهما فعلته أولاً لكن الفعلتان فجرتا تيار الألم الصامت الذي يخفيه هشام خلف ظهر ذاكرته، محاولاً أن ينسى الأمر، وراح يفسر لها أنها "خبطة" صحفية وأنه سوف يدينه ويكشف كذبه للعالم كله/ وينتقم بقلمه من أرواح ضحاياه.. ويعلم أنه كاذب، لذا شرد بعينيه بعيدًا عن وجه أمه كعادته حين يكذب.

لا شيء يخيفه في العالم قدر نظرة الغضب حين تبرق تلك العينان اللتان راعته وزرعت فيه مواثيق الشرف، تلك العينان اللتان خسرت كل ما تملك باستثناء الشرف، لأنها لم تمتلك سواه.

سرح هشام طويلاً في سيرة أمه بعد رحيل أبيه ورؤيته لها وهي تبيع الخضار في السوق جالسة أمام فرشها، بينما يلعب هو مع الأطفال أقرانه وتأخذه لتجلس بجوار مقطف الخضار يأكل معها المش بالعيش اليابس، ثم محاولاتها الفاشلة في تعلم الحياكة، وفشلها التام في الحصول على ماكينة خياطة بالتقسيط، فهي لم تكن تملك قسطًا فضلاً عن مقدم الماكينة، فعملت بمشغل خياطة عند سيدة متجبرة لا تعطيها سوى نصف حقها.

كان هشام يؤمن بأمه مثل إيمانه بوجود الرب، وكان يؤمن بشرفها مثل إيمانه بالحياة، لذا كان يتميز من الغيظ حين يقارن مسيرة حياتها بأولئك اللواتي يلتقيهن في طرقات وسط البلد، بائعات الهوى دون أدنى تردد ولو للحظة واحدة، يستريح نفسيًا إذا حكت له إحداهن تلك الحكايات التي أصبحت على لسان كل منهن بالوتيرة نفسها وبالإيقاع ذاته "ضحك عليّ أول من سلمته مفاتيح قلبي وخذلني وبعد ذلك سرت في هذا الطريق لقسوة الحياة"، تلك الحكايات التي تخدر الضمير وتطلق للشهوة عنانها المباح، ويتساءل لماذا لم تتحول أمه إلى مثل هؤلاء، وما سر تمسك الريفيات بالشرف إلى هذه الدرجة، وما سر صراخ الفتاة ليلة الزفاف حين تشاهد، رجلاً يفتك بها رغم أنه زوجها، ولماذا لا يتكرر هذا المشهد في القاهرة ؟!!

حكايات وحكايات جرت هشام إليها وهو جالس يمضغ لقمة من عشاء أمه، وفى عينيه حلم بأن ينحني على قدميها ويقبلهما، بل ويقبل التراب الذي تمشي قدماها عليه.

ارتمى على سريره، حاول أن ينام، لكن النوم يهرب منه، وهو الذي ما إن يضع رأسه على الوسادة حتى يروح في نومٍ عميق، ما هدّه تسكعه في شوارع وسط البلد، وهو الذي جابها من ميدان الأوبرا شرقًا حتى نهاية شارع ٢٦ يوليو في مدخل الزمالك حيث بحث عن غانياته في فندق الماريوت، وأحس أن جو الماريوت خانق بالنسبة له حيث يسكنه الجو الأرستقراطي المبالغ فيه لحد الإسراف، وليس ثمة دلالة شعبية واحدة فيه تستهوي هشام.

ليس هناك ما يدعو للحياة.. فالفنادق التي بلا صخب، وبلا غانيات وبلا عباءاتٍ سوداء لا قيمة لها، لذا عاد إلى شارع رمسيس شمالاً وظل يمشي حتى شارع المبتديان جنوبًا متأملاً متاهات الشوارع والفيلل المهجورة والشبابيك التي ينام التراب فوقها كـ"عاشق هده التعب"..

فكر كثيرًا في مصير الأيام المقبلة، لكن أمرًا واحدًا انتهى إليه، سوف يخوض التجربة وليكن ما يكون، لابد أن يكتشف هذا الرجل وماذا يحمل وما الذي يريده ؟ كما أن هشام كان بحاجة إلى اكتشاف رئيس تحريره من جديد، كيف رفض رشوة ثم يسافر إلى رجل ذبح بسطاء المصريين بسكين تلمة..؟!!

ضحك هشام من مقولته الدائمة أن البيت للنوم فقط وليس لغرض آخر، فهشام يحب القراءة والثقافة، ولكن ليس لديه وقت للقراءة، إذ يرى أن الصحفي الحقيقي هو الذي يفهم سياسة ولديه مقدرة على تحليل الأحداث السياسية وربطها ببعضها البعض، ومتابعة الأخبار

والتواجد في الميدان، أما الانغماس في عـــالم الروايـــات ودواويـــن الشعر فما هو إلا عالم كاذب لا جدوى منه سوى إضاعة الوقت فـــي قراءة كتب كتبها أصحابها تحت ظروف سكر أو فوضوية أو عبـــث، وأغلبها نرجسية تفوق طاقة البشر.. هكذا يؤمن هشام دائمًا، لكنـــه يحتفظ بهذا الرأي لنفسه.

انتبه هشام إلى هاتفه المحمول الذي وضعه على النظام الصامت لكي ينام، يضيء وينطفئ، وظهر له رقم داليا الدولي، لذا ســـارع بـــالرد عليها، وهى تقدم له اعتذارًا عن تأخر الوقـــت للكـــلام، وإصـــابتها بالأرق من إجهادها في التفكير، لكن هشام راح يؤكد لها أنـــه كـــان بحاجة إلى هذه المهاتفة، وأنها كلما حدثته يتوقف عمره عنـــد هـــذه اللحظات، تزداد دقات قلبه معلنة فـَرْحًا جديدًا وحلمًـــا ســـعيدًا فـــي طريقه للدخول إليه، وأنه منذ رآها أسكنت البهجة في أيامـــه، ولكـــم تمنى أن قابلها قبل ذلك بزمن كبير، فراحت تؤكد لـــه أن ينتظـــر ولا يتعجل الحكم عليها هكذا بسرعة والتعلق بها لأنـــه لا يعـــرف شـــيئًا عنها، لكنه أكد لها أن قلبه لا يكذب عليها فقد اختبره مـــن ذي قبـــل ويعرف لحظات صدقة.

- معنى ذلك أن قلبك مرّ بلحظات صدق كثيرة قبل ذلك..

قالت ضاحكة، ثم صمتت لقوله إنه يريد الحديث معها عن كل شـــيء مرّ به في حياته، عن كل اللواتي عبرن هذه الحياة ثم مـــررن إلـــى ظلام وبقيت هي في دائرة الضوء، وأن يحكى لها عن عذاباته قبل أن

يلاقيها، فأجابته بأنها في حاجة إلى التحدث معه عن حياتها أيضًـــا، وسألته عن موعد مجيئه إلى لندن.

- بعد خمسة أيام سأكون في لندن، أما حياتك السابقة وماضيك فـــلا يعنيني في شيء ولا علاقة لي به، أنتِ حاضري فقط وأريد أن أكون حاضرك.

وبعد قوله انقطع الاتصال، فنظر للهاتف ساخرًا ثم قال:

حتى الهاتف يعرف ذكرياتي في هذه الجملة، ولا يريد أن يصدقني.!!

## ( ٢١ )

- "من قال إن لندن شاحبة ؟! من يطـالع وجهـي الآن يعـرف أن الشحوب خُلق مني"..

كانت هذه أولى كلمات هشام، وهو يهبط سلم الطائرة متأملاً جو لندن الساكن في آخر النهار، وأمامه رئيس التحرير وصحفي آخر؛ صُـعق هشام حين عرف بذهابه معهم إلى لندن، سأل رئيس التحرير بعينيه عن السر في ذلك، أخبره أنه يحب طارق التلمساني لأنـه صـحفي متميز ونشط ويسمع الكلام، وأكد مخارج حروفه وهو ينطق الجملـة الأخيرة، ليفيق هشام من غيبوبته، فالتلمسانى يسمع الكلام بالفعـل وما من فرصة لباب الرشوة إلا وكان أول الفاتحين، وما مـن رجـل أعمال تريد صحيفة "الصوت الحر" أن تحطم مسـتقبله فـي عـالم البيزنس إلا وكان قلم طارق هو المطرقة الأولى في تـاريخ الرجـل لصالح رجال أعمال آخرين.

طارق وهشام كلاهما قدم في وقتٍ واحد إلى الصحيفة وعملا معًـا، لكن طارق صعد بسرعة، كلما منحه رئيس التحرير ملفًا ليكتب فيـه ازداد غرورًا لدرجة أنه لم يعد يتحدث إلـى زملائـه، وإذا صـادف أحدهم في الشارع لم يجبه، وكان ينتظر أن يتولى منصبًا، لكن رئيس التحرير كان يسكته بجملة :"ألست أنت ذراعـي اليمـين"، وراحـت الصفقة تلي الصفقة حتى كون طارق التلمسانى مبلغًا لا بأس به، بل

حين ذهبوا إلى فندق "سافوي" الذي يطل على نهر التيمز، وأبدى هشام دهشته لطارق، أجابه طارق بضحكة يملؤها الغرور:

- يا بني أنت في ضيافة عبد الكريم ناصيف، وكل ضيف يكرم بمقامه..!

- أليست هذه الرحلة على حساب الصحيفة؟!

قال هشام مندهشًا، لتزداد ضحكات طارق وغروره.

عندها تأكد هشام أن رئيس التحرير كان بحاجة إلى اسم شريف لم تلوثه أموال رجال الأعمال، يغطي على ما يفعل، وراجع أوراقه ليتأكد أن رئيس التحرير رفض الرشوة إياها أمام عينيه وفجر القضية في الصحيفة، لأنه كان يدرك جيدًا أن صلاح جابر كان سيسجل له قبوله الرشوة ويفضحه في الصحف، وقد أعلمه بذلك مسؤول كبير، عرف ذلك بالصدفة حين حدثه طارق دون أن يدرى وبكل غرور أنه يعرف دبة النملة في مصر، و لولاه ما كان لصحيفة "الصوت الحر" أي مكانة أو قيمة في مصر، ثم راح يخبره بمكالمة تلقاها من أحد كبار المسؤولين تخبره بما سيحدث، وما السر في بقاء رئيس التحرير في منصبه حتى الآن، لذا فلا شيء يقف أمامه، ولذا يحبه رئيس التحرير كثيرًا لأنه الشخص الأكثر وفاءً وحبًا له.

تدارك طارق كلماته فتوقف ناظرًا إلى نهر التميز مندهشًا، عاضًا على أصابعه، كيف جعله غروره يخرج هذا الكلام، بينما كاد يغمى على هشام.

ذهب كل منهما إلى غرفته لتزداد حيرة هشام وشحوبه، وهو عــاجز عن التصرف، وجد نفسه يطلب رقم هاتفها من الفندق لترد عليه في تحفظ على أنه امرأة.

- كيف حالكِ؟ اشتقت إليكِ كثيرًا

- يرد : بخير

- ترى أين تقيمين بلندن؟

- بفندق "سافوى" الذي يطل على نهر التيميز.. بالتأكيد تعرفينه

- طبعًا.. ومتى ستكونين في غرفتك؟

- غدًا أنا ذاهب في الصباح لإجراء حوار صحفي مع عبــد الكــريم ناصيف.

صمتت داليا دقيقة ناظرة لرجل أمريكي من حــراس الأميــرة هنــاء يرافقها، ثم أخبرت هشام أنها حين ستراه ستأخذه إلى شارع الملــك إدوار لأنه به محل ملابس حريمي رائع، ثم أوصدت الهاتف.

شحوب آخر وحَيرة أخرى اعتليا هشام، لم يفلحا من جذبه في إنقــاذ عينيه من التحديق في اللاشيء، وقف ناظرًا لنهر التيميــز مخاطبًــا إياه: كم من الفروق بين ليل نيل القاهرة وبين ليلك، وإن اتفقتما على الوحشة؛ لكن ليل نيل القاهرة يحمل لي بعضًا من الأحلام، وليلك بلا أحلام. وراح يتأمل القوارب في نهر التيميز، وعجلــة عــين لنــدن المبهرة، ولفت رأسه وراح يتخبط، ثم يحادث نفسه إن كانــت داليــا متزوجة، فلماذا أخفت عنه هذا الأمر؟

لا ليست متزوجة ولكنها جاءت إلى لندن مع ثـــري عربـــي جـــاء وزوجته وأولاده، واتخذ داليا خليلة له يقضى معها سويعات مقابل أن تلبس وتتنزه وتعيش أيامًا مبهجة في مدينة الضباب...
لكن هذا الخاطر طار من ذهنه إلى خواطر أخرى.

ارتدى هشام ملابسه مرة أخرى، خرج من غرفته، راح يتأمل جدران فندق سافوى بمعالمه الأثرية، فقد بُني الفندق عام ١٨٨٩ في موقعه المتميز على نهر التيميز، بالقرب من منطقة "ويســـت إنـــد" حيـــث المسارح الكبيرة والأضواء التي لاتغيب طـــوال الليـــل، خـــرج مـــن الفندق، لفحته نسمة هواء منعشة، توقف أمام مطعـــم سيمبســـون، امتلأت أنفه برائحة شواء اللحم، دخل إلى المطعـــم، متـــأملاً غـــرف الطعام المكسية جدرانها بالخشب، لكنه ما لبث أن عاد إلـــى الفنـــدق مارًا بالأجنحة التي أقام فيها مشاهير العالم.. ففي هذا الجنـــاح أقـــام أوسكار وايلد، وفى ذاك الجناح نزل سومرست موم، وهنا كان يرتع إميل زولا في النعيم، أما فاى ويلدون عميدة الأدب البريطاني، فقـــد ظلت ثلاثة أشهر في جناحها تأكل وتشرب وتكتب وتنام مجانًا، عبـــر برنامج أطلقه فندق سافوى عام ٢٠٠٢ ليحيى الروابط التاريخية مع أهل الأدب، وبلغت تكلفة إقامتها سبعمائة دولار في الليلة الواحدة.
ثم ذهب إلى حجرته وقال ساخرًا وهو يفتح الباب :
- وفى هذا السويت نزل الصحفي المصري الشهير هشام عبد الحميد على حساب عبد الكريم ناصيف في برنامج لإحياء الروابط التاريخية بين المصريين في قاع البحار..!!

أبى النوم أن يراوده على السرير فحمل مرتبته بملاءاتهـــا البيضـــاء ووسائدها ووضعها على أرض الغرفة، ثم استلقى على ظهره، ولمـــا هدَّه التعب استغرق في النوم، حتى صحا على هاتف طارق يوقظـــه ويعجّله لأن الوقت قد تأخر عن الموعد.

أخذ حمامًا دافئًا ثم ارتدى بدلته السوداء والكرافت الأنيق، هبط إلـــى مطعم الفندق، تناول الإفطار معهما، أخرج ورقة الأسئلة التي أعـــدها في القاهرة، ومثله فعل طارق، نظر رئيس التحرير فـــي الـــورقتين، ونظر لهما قائلاً: شخصية بهذا الحجم وكل هذا الضجيج المثار حولها لا تحتاج لأسئلة، سوف نطرح عليه أسئلة الشارع المصري..!!

بعد تناول الإفطار نهض ثلاثتهم، تقدم رئيس التحرير متحـــدثًا فـــي هاتفه المحمول، بينما مال طارق على هشام راجيًـــا إيـــاه ألا يخبـــر رئيس التحرير بالحديث الذي دار بينهما أمس، نظر له هشام بخبث:

- عيب يا طارق.

ثم استقلوا سيارة خاصة لتحملهم إلى عبد الكريم ناصيف، علق هشام على السائق الإنجليزي قائلاً:

- أرجو ألا يعرف أننا مصريون.

فقال له رئيس التحرير ضاحكًا: لماذا ؟!

- حتى لا يحول السيارة إلى عَبَّارة ويقتلنا، لأنه يبدو أن عبد الكريم ناصيف لا يحب المصريين..!!

نظر رئيس التحرير وطارق إلى هشام مستسخفين قوله، وأعينهمـــا كلها قلق أن يتفوّه بما يضايق المضيف,

**أحس هشام بثقل ظله، فراح ينظر إلى شوارع لندن في هذا الصباح الباكر. أخذت هشام تلك الصباحات اللندنية المثيرة للبهجة إلى التأمل في ذلك الإنسان العربي الذي حملته المدينة إلى السهر حتى الصباح أمام وسائل التكنولوجيا المتطورة، حتى إذا جاء الصباح تمطع ذاهبًا إلى عمله في ملل، وكأن الشيء الرئيسي في الحياة هو السهر، أما العمل فهو شيء زائد عن الحد وغير مقبول، بل وغير معقول.**

**أخذه هذا الصباح إلى إشراقة مبهجة وإقبال على الحياة حين شاهد الإنجليز في أبهة وسعادة، وهم ذاهبون إلى عملهم متأنقين، ففي هذا التوقيت من العام في مايو، تبدو لندن كساحرة تخطف بعينيها كل من يقترب عن عالمها الغامض والمثير لكنه أحنى رأسه فأي بهجة لرجل يعرف مقدمًا أنه غارق في الوحل، وها هو قد خطا خطواته الأولى في الوحل، متذكرًا صديقه الصعيدي، متنهدًا بألم، قائلاً مع نفسه :**

**- فينك يا عدنان ؟!!**

# ( ٢٢ )

هذه إذن لندن.. ها هي أحلامك يا ابن عبد الحميد في غزو أوروبا تتحقق، ستنام شقراء على ذراعك اليمنى وأخرى على ذراعك اليسرى، ستكون لك غزوات وصولات وجولات في ليل لندن، لن تتركك امرأة إلا وتضاجعها، هن حرثٌ لنا..!!

راح هشام يخاطب نفسه، بينما تمر أمام عينيه العشرات من نساء لندن في أناقتهن المعهودة، ذلك اللقاء المصيري المنتظر متناسيًا الوحل الذاهب إليه، مقررًا شيئًا واحدًا، حمل روحه إلى الاستمتاع بليل لندن ونهارها والبقاء فيه عدة أيام منفردًا وبعيدًا عن مرافقيه، ولم ينتبه هشام أن السيارة توقفت والباب فتح حتى دفعه طارق في كتفه، هبطوا منها واتجهوا إلى داخل شقة واسعة تشبه القصور الخاصة بالملوك والأمراء في فرشها الثمين وجدرانها المزدانة بلوحات عالمية، والأنتيك الذي يملأ كل ركن تطل عليه عينا هشام، وبعد أن أجلستهم الخادمة، وبعد دقائق خمس قدم إليهما عبد الكريم ناصيف تسبقه رائحة عطره التي ملأت المكان، رحب بهم بالاسم، استقبلهم بحميمية كمن يعرفهم منذ زمن طويل، وبعد أن قام بواجب الضيافة معهم اقترح رئيس التحرير بدء الحوار، طلب ناصيف الإطلاع على الأسئلة، وكان هشام يعرف أن هذا مبدأ مرفوض لجميع محرري "الصوت الحر"، لكن اندهاشه غاب ورئيس التحرير يعرض

عليه الأسئلة، وناصيف يحذف منها ويضيف إليها ما يشاء، أدرك هشام أن الموضوع في أبسط وأعقد صوره لا يعد كونه صفقة دنسة، ودارت بذهنه عدة تساؤلات، لكن السؤال الوحيد الذي لم يستطع الإجابة عليه، لماذا هو هنا.. وما علاقته بهذه الصفقة.. وما الدور الذي سوف يلعبه ؟!

لكن لا أحد يستطيع أن يجيبه عن هذه التساؤلات سوى رئيس التحرير، وهشام لا يستطيع أن يطرحها عليه.

ظلتا عيناه ربع الساعة تتأمل ما يحدث أمامه، لكنه شارد الذهن، حتى انتهى ناصيف من وضع الصياغة النهائية لهذا الحوار، وعلق ساخرًا على سؤال بعينه خطته أنامله: ماذا لو كان لك ابن في العبارة.. كيف سيكون حالك ؟ علق بقوله مبتسمًا: هذا السؤال سيسخن الحوار ويجذب القارئ إليه، ورئيس التحرير يؤمّن على كلامه في بهجة الجالسين إلى أحد الخلفاء الراشدين، يتقبلون نصائحه ولا يناقشونه في كلامه.

ودارت بكرات الكاسيت لساعة ونصف الساعة، قدمت خلالها العديد من المشروبات، ولم يسأل هشام سوى سؤال واحد : هناك تقارير أكدت علمك بأن العبارة تغرق، قبل غرقها بساعتين، ولكنك لم تفعل شيئًا سوى جمع ملابسك والسفر إلى لندن.. ألا ترى هذه نذالة ؟!

تكهرب الجو، نظرت عينا رئيس التحرير إلى هشام ؛ يطل منهما الشرر، أراد أن ينهض ويصفع هشام، فبعد أن ارتخت أسارير عبد الكريم ناصيف عبر السؤال عن لو كان ابنه في العبارة، وإجابته بأنه

يحس بأن جميع من ماتوا أبناؤه، وأن قلبه محروق كــأب مصــري على كل شباب مصر الذين ماتوا في العبارة، وبعد إحساسه بأن هذه الإجابة ستهدأ من ثورة الشعب المصري عليه حين تنشرها الجريــدة ليس لوقع الكلام فقط، ولكن لمصداقية الجريدة في الشــارع وثقــة الناس فيها لأنها تعبر عن قضاياهم، ابتسم ناصيف، لكنه لم يســتطع أن يخفى غضبه ونظر في عينيّ هشام طويلاً قبل أن يقول:

- هذه التقارير مزيفة ومزورة من قبل خصوم لي يريدون الاستيلاء على مشروعاتي في مصر، ثم إنني لم أسافر إلا بعد غرق العبّــارة، ليس هربًا ولكن لأن أحد مشروعاتي في لندن يتعرض لورطة كبيرة، وكان يجب أن أسافر لأخلصه منها.

لم يصمت هشام، بل قاطعه:

- سافرت بعد غرق العبّارة بثماني ساعات لأنه لم يكن هناك رحلات طيران إلى لندن إلا بعد هذه الساعات..؟

طلب رئيس التحرير من هشام الصمت، نظر إلى ناصيف وهو يقول:

- هشام يسأل هذه الأسئلة لكي نخرج بمانشيتات تجذب القراء.

لكن ناصيف قاطعه وهو ينظر إلى هشام قائلاً:

- لا تجعلني أشعر بالندم لأني طلبت حضورك يا أستاذ هشام.

دهش هشام وظل يحدق لدقائق قبل أن يطلب تفسيرًا، لكن لم يقــدم له أحد تفسيرًا.

وفى نهاية اللقاء اصطحب ناصيف رئيس التحرير إلى غرفة أخــرى وهو يقول له:

- لا أعرف سر عدم قبولكم تحويلات أو شيكات هذه الأيام.

وبعد دقائق نادى الحارس الذي دخل إلى مكتب ناصيف تلقى أمرًا ثم خرج، وخرج الاثنان إلى هشام وطارق، وطلب منهما ناصيف الانتقال إلى غرفة أخرى للتحدث في البيزنس، نهض معهم هشام وإحساسه بأنه في حضرة مشهد في فيلم أمريكي لعصابات المافيا لا يفارقه، جلس الجميع على مائدة الاجتماعات المستديرة، على رأسها عبد الكريم ناصيف محاولاً شرح فكرته، التي يبدو أن رئيس التحرير على علم مسبق بها قائلاً:

- أريد أن يكون لي صوت وسند قوي لي في مصر، ولن يحدث هذا إلا من خلال الإعلام، بأن تكون لي صحيفة يومية مستقلة، وسأوفر لها كل الإمكانيات اللازمة بأن أجعل رأس مالها خمسين مليون جنيه، وأخصص لها مبنى في المهندسين من طوابق عشرة، أريدها الجارديان البريطانية أو يزيد، لتنمو وتكبر وتكون منها مؤسسة مثل مؤسسة مردوخ بلندن، تنافس بإمكانيات قوية، وسيأخذ صحفيوها دورات في كبريات المؤسسات في لندن، وأوفر لكل صحفي راتبًا يفوق راتب أي مؤسسة صحفية في مصر، وسأستقطب إليها خريجي كلية الإعلام وأقسام الصحافة الجدد.

قاطعه هشام ضاحكًا:

- سوف تفشل بالثلاثة يا عبد الكريم بك.

بهدوء وصمت أصحاب راس المال الواثقين أنهم يملكون العالم كله طالما يملكون المال، قال ناصيف : لماذا ؟!

- لأن اسمك لو وضع على الكعبة المشرفة لن يــذهب أحــد لــيحج إليها.. فما بالك باسمك على صحيفة..؟!!

رفع عبد الكريم ناصيف يديه من على أوراق خطته وقال ضاحكًا:

- لا تزال يا أستاذ هشام شاب في مقتبل العمر قليل الخبــرة، فلــن أضع اسمي على الجريدة، ولن تكون لي علاقة بها من قريب أو بعيد سوى ضخ المال، وبالتأكيد سيعرف العديد أنني وراء هذه المؤسسة لكن لن يستطيع أحد إثبات ذلك، هناك من أثق فيــه ســيتولى إدارة المؤسسة.

علق هشام:

- ورئيس التحرير؟

فباغته ناصيف:

- ستكون أنت رئيس التحرير، وطارق مدير التحرير.

صمت هشام، وكاد يفهم قواعد اللعبة فحول دهشته إلى سؤال:

- وماذا عن رئيس تحريرنا ؟!

نظر إلى رئيس التحرير، فباغته ناصيف:

- هو الذي سيدير المؤسسة من الباطن حتى تقف على رجليها دون أن يعرف أحد ذلك، سوف يمر في نهاية عمله وبعد طباعة "الصوت الحر" ليطمئن على سير العمل ويشاركك همومك لنجاح الصحيفة حتى يتقرر موعد الصدور، وتنتهي كل التصاريح اللازمة، والتــي ســوف أكلف أحد مستشاريّ بإنهائها في أسرع وقت.

- والأجر ؟.. قال هشام

فباغته ناصيف بالعرض الذي لا يرفض:

- ٥٠ ألف جنيه في الشهر.

صمت هشام، لم يستطع أن يجيب بلا أو نعم، طلب الاستئذان، نظــر رئيس التحرير وعبد الكريم ناصيف إلى بعضهما البعض، نظرة تعنى وقوع الصيد في الشبكة.

## ( ٢٣ )

قرر هشام أن يعبر شوارع لندن على قدميه، وأن يستغنى عن سائق ناصيف، وذهنه مليء بالتساؤلات عن الأسباب التي جاءت بــه إلــى هنا، وعما يريدونه منه، وهل سيرجع سالمًا إلى مصــر أم ســيُقتل برصاصة طائشة مجهولة المصدر على أسفلت لندن الذي يميل كثيرًا إلى جثث العرب..!!

عشرات التساؤلات راحت تمر بذهنه، وهو يتأمل الناس والشــوارع وواجهات المحال، وبعد أن هدّه المشي استقل تاكسي إلــى الفنــدق، غيرّ ملابسه، حاول أن يخلد إلى النوم، لكن هاتف داليا كان يعزمــه على غداء لندني، وكأنه وجد نفسه نسي كل شيء، أخذ حمامًا ساخنًا وارتدى ملابسه متأنقًا أمام المرآة، ووقف أمام الفندق ينتظرها وهو يردد: إن أفضل حالة للهروب من الموت مواجهته دون خوف.

مرت عليه في سيارة أجّرتها لترافقهما.. طلبت من السائق أن يقلهما إلى قلعة هيفر، وقالت له إنها القلعة التي أقامت فيها زوجة هنــري الثامن، وأثناء تأمل القلعة من الداخل امتدت أصــابع يــده اليمنــى لتلامس أصابع يدها اليسرى التي ارتعشت قليلاً ثــم مــا لبثــت أن ارتخت. وبعد ذلك أخذته إلى المتحف العسكري الوطني ليرى كيفيــة إدارة الجنرالات لشؤون الجيش البريطاني، وشاهدا القطــع الأثريــة النادرة، وراح هشام يتأمل القطع التي تركها الضابط برونكــو - أول

من تسلق قمة إيفرست - وقال متنهدًا وهو ينظر في عينـــيَّ داليــا:
- حالي الآن مثل هذا الضابط أحاول أن أتسلق قمة ما لكنـــي لا أرى لها نهاية.

ولما سألته عن تفسير؛ لم يفسر ولكنه طلب منها الذهاب لمكان فيه أميرات ليؤكد لها أنها الأجمل بين جميع نساء العالم.

أخذته إلى قصر باكنجهام، وكان من حسن حظهما مفتوحًا لاســتقبال الزوار، والتجول في قاعة الملكة، حيث شاهدا عرضًــا للمجــوهرات النفيسة، وفى قصر كينغتون شاهدا فساتين الأميرة ديانا، أما في قلعة ويندسور فراحا يتأملان الدُّمى التي أهديت للملكة مــاري، وهشــام مندهش من هذه الحياة التي عاشها هؤلاء الناس فــي إمبراطوريــة أرهبت العالم كله، بينما هم يعيشون في بهجة وأبهة وكــأن الــذين يغزون بلاد العالم أناس آخرين.

قررا الحصول على استراحة، فذهبا إلى الغداء فــي أحــد المطــاعم الصينية في سوهو، لم ينجح هشام في أن يأكل بالعصــايتين اللتــين يؤكل بهما، فاستأذنها في استخدام الشوكة والسكين.

أثناء الأكل سألته داليا عن سر قدومه لندن أهو للقاء عبــد الكــريم ناصيف فعلاً؟، فأخبرها أنه لا يريد أن يتذكر ما حدث، ثم حكى لها كل ما مرّ به.

صمتت داليا دقائق بعد استماعها للعرض المقدم له، ثم ألحت عليــه في الموافقة، وراحت تحكي له عن أسماء يكن لها هشام قداسة مــا بعدها قداسة في بلاط صاحبة الجلالة، تركع أمام الأميرة هناء وتأخذ

حقيبة ممتلئة آخر الليل، وفى كل احتفالات تدعى إليه تلك الشخصيات تحمل بالكثير، ثم راحت تحكي لهشام قصتها مع الأميرة هناء، وكيف أنها على الرغم من العمل معها، إلا أنها لا تكن لها ذرة حب واحدة، لأنها سيدة اعتادت إهانة كل ما هو مصري، ولو كان بيدها أن تضيع تاريخ مصر، وتنسف أهراماتها العظيمة نسفًا لفعلت، بل لو وجـــدت فرصة لصعدت فوق سطح الهيلتون وتبولت على كـــل المصـــريين، وداليا نفسها لا تعرف سببًا لذلك الكره، رغم أن مصر هي التي فتحت أبوابها، حين أوصدت كل الدول العربية الأبواب فـــي وجههـــا، ولـــم يتحمل أحد إقامتها وأسرتها وخدمها وحشمها.

سرح هشام طويلاً في حديثها ووعدها - حسب مطلبها - أن يفكر في هذا العرض المقدم له لأنه سيحقق له نقلة أخرى في حياته.

نظر هشام في عينيها طويلاً قبل أن يقول لها:

- ولو لم أقبل هذا العرض وعشت فقيرًا كما أنا ألا تقبلين أن تكملين حياتك معي ؟!

وضعت داليا يدها فوق يده، وعيناها تخبره قبل لسانها أنهـــا علـــى استعداد لأن تعيش معه فوق سطح عمارة من عمارات بولاق.

وبعد أن تناولا الشاي الصيني طلب منها أن يذهبا غدًا لشراء بعـــض الملابس، لأنه بحاجة إليها ولوالدته أيضًا وعادا معًا حيث نزل هشام أمام الفندق، وذهبت داليا مع السائق، وما إن دخـــل إلـــى اســـتقبال الفندق حتى وجد طارق في انتظاره يخبره بقلقه ورئـــيس التحريـــر عليه، ويسأله أين كان؟ فأخبره أنه ذهب للغداء والتمشي في شوارع

لندن، ثم أخذه طارق من يده وصعدا إلى غرفة رئيس التحرير، دون أن يهاتفه ويخبره بقدومهما إليه.
عاتب رئيس التحرير هشام عتابًا رقيقًا عن حبه له وأوضح له كيف أنه يعتبره أخاه الأصغر، وأن الفرصة تأتب للإنسان مــرة واحــدة، وسأل هشام : أنت بتصيف فين ؟!
اندهش هشام بداية، ثم أخبره أنه لا يذهب إلى مصيف فهــو أعلــم الناس بمدى حاجته، فقال له رئيس التحرير:
- هذا أبسط شيء، فلو قبلت هذا العقد سوف تصيف كل عــام فــي أوروبا، وتكون لك شقة ملكك في لندن "وشاليه" في مارينا وآخر في العين السخنة بالإضافة إلى فيلا في القاهرة.
فقال هشام إنه سيعاود التفكير في العرض شريطة أن يجيبه بصراحة خاصة أن اللعب أصبح على المكشوف، ولا داع للمداراة: لمــاذا تــم اختياره بالذات لهذه المهمة ؟
أخبره رئيس التحرير بعد أن أطفأ السيجار الذي يمسكه بين أصابعه في المنفضة، ولاحظ هشام أنه لم يكن يدخن "سيجار" قبل ذلك، وكان يشرب سجائر عادية، كما أن هذا السيجار هو النــوع نفســه الــذي يستخدمه عبد الكريم ناصيف ( COHIBA) ثم قال:
- لأني بحبك، ولديك موهبة حقيقية لا أريد لها أن تموت في البحث عن المال طوال الوقت، وأنت لم تتورط ذات يوم فــي الــدفاع عــن مسؤول في الحكومة أو نفاق أحد، حتى حين فتحنا صــفحة الــرأي لكتاب الجريدة، وكتبت مقالك الأسبوعي وجدنا أنــه المقــال الأكثــر

تعليقًا من قبل القراء على الإنترنت، وما من مسئول التقيته إلا وأشاد بأسلوبك الشيق والمتزن في الكتابة، الكاشف عن موهبة حقيقية، ولعلمك كنت أخفي عنك عشرات الخطابات البريدية التي تأتى إلينا من أشخاص يطالبون التعرف إليك، ولعلك كنت تلاحظ عقدنا ندوات للعديد من الوزراء على رأسهم رئيس الوزراء نفسه الذي أكد أن أول ما يبدأ في قراءته في صحيفتنا، قبل أخبار مجلس وزرائه، هو مقالك، رغم أن أغلب مقالاتك موجهة ضده وضد حكومته على الدوام لكنها كتابات بلا مصلحة، لوجه الوطن والحقيقة، والأهم من هذا كله أن عبدا لكريم ناصيف هو نفسه الذي رشحك لتولي رئاسة تحرير جريدته.

أبدى هشام اندهاشه ولم يصدق كلامه، فقال رئيس التحرير: أعرف أنك لن تصدق لأنه أكثر شخص هاجمته في مقالاتك، ولعل حملتك الشعواء ضده هي السر في انقلاب الرأي العام عليه وإدانته رغم أنه لم يكن قائد العبَّارة، و لم يكن له علاقة بتوجيهها، هو فقط مالكها، ووجد ناصيف أن أغلب المقالات المكتوبة ضده موجهة من قبل رجال أعمال يهمهم ألا يكون موجودًا بالبيزنس الخاص به، وأنت الوحيد الذي كتبت لوجه هذا الوطن.

- وماذا ستستفيد أنت من هذا؟

سأله هشام، فعلق:

- ولا حاجة، أنت تعرف أنني لا أبحث عن شيء، فأنا والحمد لله رئيس أهم صحيفة في مصر، ولكنني أحاول الوقوف بجوارك، ومن

يعلم فمن الممكن أن أجيء وأعمل معك، أنت تعرف أن رئيس مجلس إدارة الصوت الحر متقلب المزاج.

- وكم سيكون مرتبك في جريدة عبد الكريم ناصيف..؟

- مرتب عادي جدًا.

نظر له هشام نظرة توحي بأنه يعرف أنه يكذب عليه، وأن مرتبه سوف يتجاوز المليون جنيه.

ثم أكمل رئس التحرير:

- صدقني أنا أحاول الوقوف بجوارك حتى تقف الجريدة على قدميها حيث سأعمل من الباطن لمدة ستة أشهر أعاونك فيها، وسيكون طارق مديرًا للتحرير معك، وصدقني يا هشام سوف تكون هذه الجريدة أهم من جريدة "الصوت الحر" لأننا سننفذها طبقًا للمدارس المتقدمة في الصحافة الأمريكية من حيث إخراج الموضوعات وطريقة التناول، كما أنني أعتقد أن عبد الكريم ناصيف سيحكم له بالبراءة.

علق هشام ساخرًا: براءة من جثة ألف مصري..!!

- لا ذنب لعبد الكريم في ذلك.. ثم هناك من يدير اللعبة وهو أكبر مني ومنك.

- وماذا سيفعل هذا الكبير وتقارير لجنة الحقائق وهيئة السلامة البحرية والطب الشرعي وتحقيقات النيابة كلها ضده..

- يبدو أنك تعيش في المدينة الفاضلة.. عبد الكريم ناصيف أكبر مما تتخيل.

وعده هشام بالتفكير في الأمر متذكرًا كلام داليا حتى يضمن العــودة إلى مصر سالمًا.

لا يحب هشام رائحة السجائر، لكنه وجد نفسه يشترى علبتيّ سجائر ويجلس في حجرته حتى الصباح مدخنًا إياهما، يفكر في الأمر الــذي أرهقه طويلاً، عاجزًا عن اتخاذ قرار، تلوح أمام عينيه صورة بسطاء الناس الذين يصرخون في عرض البحر بحثًا عن منقــذ، وتســحبهم المياه رويدًا رويدًا لتستمتع الحيتان وأسماك القرش بعشــاءٍ شــهى، وبين الحيتان الذين يطالبونه الآن أن يســكن بيــوتهم وينــام علــى فراشهم، يأكل أكلهم ويعيش عيشتهم، متذكرًا توفيره لعشرات الفرص للأجيال الجديدة إن قبل رئاسة تحرير جريدة عبد الكــريم ناصــيف، متسائلاً بينه وبين نفسه، سؤال لم يستطع الإجابة عنه:

- هل الكاتب مسؤول عما يكتب، أم عن المكان الذي يكتب فيه؟!!

ثم سأل نفسه سؤالاً كان حاسمًا بالنسبة له:

- إذا كان هذا المنصب عُرض على مجدي مهنا هل كان يقبله..؟!!

## ( ٢٤ )

"مساء لندني معبق برائحة الحب وبهجة العشاق"..
هكذا ذهب هشام في نزهة حب وليس في نزهة تسوق، فقد أخذته داليا إلى السيلفريدج وبوند ستريت وسلون ستريت، وحمل العديد من الملابس، ثم وجد نفسه في بهو فرعوني صعد طوابقه الأربعة واجدًا نفرتيتي وحتشبسوت ورمسيس، وهنا أخبرته داليا:
- هذه يا سيدي قلعة محمد الفايد هارودز، لكننا سنشاهد فقط، لأنك لو قررت الشراء من هنا سوف تدفع كل ما تملك في حذاء..!!
راح هشام يمد يده لجميلات لندن اللواتي يقفن في هارودز يحملن عينات العطور ليشم الرائحة على يده ثم يدخل ويشتري، وكان هشام يشم الرائحة فقط، واستأذن من إحداهن أن تريه هذه الزجاجة التي في يدها، ورش منها على جسمه ضاحكًا ثم ودعها وهارودز.
وذهبا إلى شارع أكسفورد ستريت حيث وجد عدة ماركات وبسعر رخيص فأبهجه ذلك، ثم ذهبا إلى سوق شبرد بوش وسوق الأحد لشراء هدايا رخيصة لعدنان وشادي.
وضعا حاجاتهما في السيارة، وذهبا إلى شارع آبر بيركلى ستريت حيث تناولا العشاء لحمًا مذبوحًا على الطريقة الإسلامية في مطعم الوادي الأخضر، وأصر هشام على دفع الحساب، ودفع بالفيزا كارت الخاصة به، واعتذر لداليا على إزعاجها فتضايقت، ثم طلبت منه

العودة إلى الفندق لأنها تعد له مفاجأة، وأمام بـاب الفنـدق نـادى السائق على أحد عمال الفندق وأعطاه الحقائب الخاصة بهشام، ودس فيها حقيبة إضافية، وطلب منه وضعها في حجرة هشام عبد الحميد، حيث أعطاه هشام رقم الحجرة، وتحرك السائق كمن يعرف وجهتـه جيدًا، وهشام يحاول أن يستفسر عن المفاجأة وداليا لا تجيبه حتـى وجد نفسه فجأة يشاهد العرض المسرحي "ماماميا".. تلك المرأة التي ضاجعت ذات ليلة ثلاثة رجال عابري سبيل، وحملت وأنجبـت بنتًـا كبرت وتريد الزواج ووجهت الدعوة للرجال الثلاثة؛ في محاولة منها لمعرفة أبيها، الذي تستطيع التوصل إليه في نهاية العرض.

ظل هشام طوال العرض ممسكًا بيد داليا مستمعًا بهذا شاكرًا لها على تلك الجرعة الفنية، وحين أوصلته إلى الفندق، وقبل أن يهبط قبلّتـه في خديه ففرح كثيرًا، ولم يستطع النوم من فرط سعادته، فراح يرتب أشياءه، اكتشف الحقيبة الصغيرة التي لم يشترها، فتحها ليجد بهـا ساعة ماركة "مونت بلانك" رائعة الجمال يتجاوز سعرها الأربعين ألف جنيه مصري، ومعها ورقة صغيرة مكتوبة بالإنجليزية:

"لا شيء في الحياة نملكه يساوى لحظة حـب صـادقة، أتمنـى أن أمنحك عمري كله، لكن العمر لا يسـاوى تلـك اللحظـة الرائعـة" والتوقيع " D "..

هاتفها مبتهجًا ثم معتذرًا عن قبول الهدية، فأقسمت أنها لن تراه مرة أخرى طيلة حياتها إن لم يقبل هديتها، لكنه أخبرهـا أنـه لا يمتلـك منحها هدية مثلها، فأخبرته أنها أخذت هديتها منه، حبـه الصـادق وقلبه النبيل ومشاعره الطيبة.

طرقٌ على الباب جعله ينهى المكالمة معها واعدًا إياها باللقاء منذ الصباح غدًا، وسارع بإخفاء حاجياته في الدولاب، فتح ليجد رئيس التحرير في مواجهته مندهشًا لغيابه، ثم يطلب منه أن يعزمه على شاي أخضر، وجلسا في شرفة غرفة هشام يتحدثان عن الصحافة والسياسة ومصر، ثم انتقل رئيس التحرير من خلال هذا الحديث إلى عبد الكريم ناصيف، وأن قضية العبارة سيتم الحكم فيها بعد شهر، وستظهر الحقائق واضحة ببراءة عبد الكريم ناصيف وأن الرجل يطلب منا تناول الغداء معه غدًا في الثالثة ظهرًا، ولا يصح أن نرفض ضيافته. وأمام ضغط رئيس التحرير وافق هشام.

وبعد أن ذهب رئيس التحرير، هاتف داليا طالبًا منها أن يلتقيا في الصباح الباكر وشرح لها الأمر.

نام هشام ليلته أكثر راحة، تناول فطوره مبكرًا وانتظر داليا كالعادة أمام باب الفندق لتخبره بأنها أعدت له اليوم برنامجًا جيدًا، فأخبرها أنه لم يبهره شيء في لندن وفى الحياة عمومًا، إزاء انبهاره بوجودها بجواره.

ذهبا إلى ضفاف نهر التيمز وانتظرا الصعود في عجلة "لندن أي" وشاهدا أثناء انتظارهما خمسين صورة لأروع المشاهد الجوية لمناظر مختلفة في بريطانيا، ثم صعدًا في عجلة "لندن أي" ليشاهدا مدينة لندن المدهشة ومبانيها العتيقة وساعة بيج بن ومبنى البرلمان، ثم اتجها إلى حدائق هايد بارك حيث جلسا على البحيرة يتأملان البط السابح في هدوء وأمان، ولكم تمنى هشام أن تمنحه

أمان البط هذا، ثم راح يضع يده على كتف داليا ثـم يمررهـا عبـر شعرها ويأخذها إلى صدره في حنان، حتى حان موعد ذهابـه إلـى الغداء، فعاد إلى الفندق وغير ملابسه، ارتـدى بذلـة سـوداء دون رابطة عنق، ثم ذهب إلى غرفة طارق واصـطحبه لغرفـة رئـيس التحرير وهبطوا ليجدوا سيارة عبد الكريم ناصيف في انتظارهم حيث حملهم السائق إلى أحد مطاعم "الادجوارود"، وهو الشارع الذي يكتظ بالعرب، وذلك ليثبت إليهم حنينه إلى مصر وحبه فيها، وأنه وإن كان بعيدًا عنها فإنه يشتم رائحتها من المصريين والعرب القادمين إليهـا عبر هذا الشارع، وتناول معهم الغداء مرحبًا بهـم، دون أن يتحـدث عن مشروع جريدته، ثم دخن الجميع الشيشة بمـن فـيهم هشـام، وأثناء ذهابهم شد ناصيف على يد هشام بيديه، وطلب منه التفكيـر في عرضه، لأنه لا يأتمن أحدًا على مؤسسته التـي ستصـدر هـذه الصحيفة وعدة قنوات تليفزيونية سوى صحفي صاحب قلم شـريف مثله.

شكره هشام، وكرر بينه وبين نفسه كيف يتحدث شخص مثل هذا عن الشرف، وهو يكتسب فلوسه دون شرف، ويلقي بالناس فـي البحـر دون أن يهتم حتى بصيانة عباراته.!!

أثناء عودتهم إلى الفندق أخبرهم رئيس التحرير إن كان أحد منهمـا يريد شراء هدايا فسوف يذهبون اليوم في نزهـة تسـوق فاعتـذر هشام. أخبره رئيس التحرير بضيق الوقت لأنهم سوف يسافرون في الثالثة صباح الغد.

بعد أن تركهما هشام وعاد إلى الفندق وجد رسالة صوتية من داليا تطلب الاتصال بها حين عودته، واتصل بها لكن هاتفها كان مغلقًا، فنزع ملابسه وارتدى بيجامته، وأخرج عدة أوراق بيضاء وقلمًا وأخذ يشخبط عليها مستعرضًا شريط حياته، ليكتشف أنه لم يغضب الله مرة واحدة في حياته سوى في علاقته مع النساء، وأن هذه نقطة الضعف الوحيدة في حياته، واندهش كيف لم يذهب إلى سوهو ويشاهد عرض استربتيز أو يجلب واحدة من هناك، أو حتى يميل إلى الدليل المنشور في العديد من الصحف بصور العاهرات وأرقام هواتفهن وسعر كل واحدة منهن، ويتصل بإحداهن لتأتى إليه، هل السبب في ذلك همه المتواصل وتفكيره الدائم في العرض المعروض عليه، لكنه كان يهرب دائمًا من مشكلاته بالغرق في الجنس:

- إنها داليا...

صرخ هشام متأملاً كل قطعة في جسدها وروعتها وأنوثتها الطاغية، متمنيًا أن تكون زوجته، ويختم تلك الحياة النسائية الضائعة التي عاشها.. لكن كيف يتزوج من امرأة اعتادت معيشة القصور والفنادق، وهو يعيش حياة الصعاليك والمشردين؟!

كانت هذه هي المأساة الجديدة التي بدأت تستولي على تفكير هشام وتسرق النوم من عينه.

## ( ٢٥ )

اشتكى هشام لداليا آلامه، وكيف أنه لا يستطيع التحرك من السـرير، ولم ينم إلا في السادسة صباحًا، وما هي إلا نصف الساعة حتى كانت داليا في حجرته بالفندق ومعها طبيب، كتب له على عـدة مهـدئات ووصف حالته بأنها أرق وقلق وإجهاد بسبب التفكير الطويل.

جاء السائق الإنجليزي الذي استأجرته داليا بالعلاج، ثم أغلق عليهما الحجرة وخرج، أمسكت داليا بيد هشام ثم جاءت بكوب مـن المـاء لتناوله العلاج، وأسندته على ذراعها حتى يستطيع الجلوس فلامـس نهدها ذراعه، فأصيب الاثنان بقشعريرة، ثم شرب المـاء وشـكرها، فأراحت رأسه على الوسادة، ومال شـعرها علـى وجهـه، فاشـتم رائحتها الطيبة، احتضنها بذراعيه وضمها إليه، استجابت مترددة له، أخذ يقبل شفتيها رويدًا رويدًا، ذابا في بعضهما، أنامها بجواره علـى السرير، ثم وضعها على وسادته.. وراح يتحسس ويقبـل جسـدها بينما هي في عالم آخر من العشق.

وبعد دقائق جلس باكيًا على الأرض وهى جالسة فوق السرير، حكت له قصة زوج أمها وأقسمت أنها لا تكذب عليه، وكيف أنها لم يمسها بشر سواه، فقد أغلقت محارة جسدها عليها مـن وقتهـا، وكرهـت الجنس وكل ما له علاقة به، حتى وجدته فأحست أنه رجل مختلـف

عن غيره من الرجال، ثم ارتدت ملابسها وتركته غارقًا فى دموعــه، ثم قالت قبل أن تخرج من باب غرفته:

- تذكر أنى لم أطلب منك وعدًا، ولن أطلب منك أن تتزوجني.. فقــط امسح هذه الصفحة من حياتك.

حاول هشام أن ينسى فلم يستطع أن يعيش الساعات الباقية له فــي لندن دون أن يتذكرها؛ لم يستطع.. حاول الاتصال بها لــم يســتطع، وما إن صعد إلى الطائرة المتجهة إلى القاهرة حتى شعر أنه يتــرك في لندن جزءًا منه، جزءًا لا يستطيع الحياة بدونه..

وفى هذه اللحظة أدرك أنه يحبها ولا يستطيع الحياة دونها.

لم يختر هشام أن تكون حياته بائسة مثل جان، فالجان بطل روايــة فيكتور هوجو "البؤساء".. فكلما تخلص من مشكلة ما تلبث أن تظهر له أخرى ليعيش حياة كلها سواد وألم، فراح يفكــر مــاذا لــو قبــل العرض المقدم له وأصبح نجمًا تليفزيونيًا تسعى الفضائيات إلى كسب وده والتقرب منه ؟!

وراح يتساءل عن الجبر والاختيار في حيــاة بنــي البشــر، وهــل باستطاعة الإنسان أن يختار حياته وفق إرادته، أم أن هذه الحياة قدر مقدور، والإنسان مقاد إلى ما خطته يد القدر وجف عليه القلم، ولــن يستطيع تغيير مجراه في نهر الحياة مهما اجتهد..؟

يحاول هشام أن يثبت أمام نفسه مخادعًا أن الحياة كتبت له تــرأس تحرير صحيفة بأموال عبَّارة عبد الكريم ناصــيف، لكــن نفســه لا تطاوعه على التصديق، يحاول أن يتذكر قدوته في الصحافة مجــدي

مهنا، ويقرر أن لا يبيع، لكنه لا يستطيع أن ينس الأمر، والشواكيش في رأسه تأبى الصمت..
وهنا قرر أن ينسى بطريقته المعتادة؛ البحث عن نساء.. لكـــن بعــد داليا هل هناك نساء تُضاجع أو حتى تستحق الإنسان أن يبتسم فـــي وجهها.. بعد كل البهجة التي منحها له حضنها، وبعــد كــل الأمـــان والشبق اللذين أحسهما بين ذراعيها.. هل توجد امرأة فـــي الوجـــود تمنحه أحاسيس داليا؟!

داليا إذن هي المشكلة، هكذا طفت فوق تفكيره وطغت عليه، فقرر أن ينساها، وقد تعلم قبل ذلك أن الرجل لا يستطيع أن ينســـى امـــرأة إلا بامرأة أخرى.

وضع هشام حقائبه في البيت، لم يجد أمه حيث ذهبت لزيارة أختـــه، أخذ حمامًا سريعًا، هاتف شادي وعدنان لكن هواتفهما مغلقـــة، فلـــم يجد أمامه إلا رامي الذي واعده على اللقاء في بداية المساء.
حاول هشام - رغم كل بذاءاته - أن يمنع رامي مـــن فعلتـــه، لكـــن لاشيء يحول دون أن يفعل رامي ما يريد، ورغم كل حجـــج الإقنـــاع التي ساقها هشام إلا أن رامي أصر على رمى إنســـان بـــريء فـــي غياهب السجن، دون حتى أن يسأله عن ذنبه، ولكنها توصـــية مـــن فتاة ليل أرادت الانتقام من عشيق قديم أعطاها الحب وتمناها زوجـــة فاكتشف أنها فتاة ليل.
كان يحادثها بعد منتصف الليل بقليل وسألها أين تكون؟ فأخبرته أنها في البيت لم تجد ما تأكله سوى قطعتين من الخبز الحاف مع كـــوب

الشاي، وبعد أن أغلقت الهاتف تأسفت لمن يجاورها في السيارة لأنها طالبته بالصمت حيث تتحدث مع خطيبها، ولما سألها: كيف تحبه وتخونه في نفس الوقت، أجابته بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لكي أوفر قوت يومي، وأستطيع العيش..لم يستغرب حين قالت له: خطيبي فسحني في نفس الأماكن بسيارته " فهنا أكلنا وهنا جلسنا.. وهنا قبلني".

- لو كان يحبك واكتشف احتياجك للمال فلم يكن يتأخر عن قضاء حوائجك.

ثم أبدى الزبون دهشته من قولها له في نهاية المكالمة : لا إله إلا الله، واستغرب ذلك التناقض المريب وأعطاها المبلغ المتفق عليه دون أن يفعل معها شيئا من وقع الصدمة، لكن كان قد حصل على هاتف حبيبها حين طلبت منه رقمه الدولي فأخذ هاتفها ليسجل لها الرقم، وبعد أن تحدث مع حبيبها استقل حبيبها سيارته ووقف أمام العمارة التي تسكنها فوجدها عائدة في الثانية صباحًا، صفعها ثم بصق عليها وانصرف مستقلاً سيارته بدموع ترفض الأسر.

مقابل ليلة حمراء تنازل رامي عن كل شيء، هاتف أحد أصدقائه في قسم العمرانية ليلقى القبض على هذا الشاب متهمًا إياه في قضية مخدرات حاول هشام - رغم كل بذاءاته - أن يمنع رامي من فعلته لكن لا شيء يحول دون أن يفعل رامي ما يريد، رغم كل حجج الإقناع التي ساقها هشام إلا أنه فشل في إقناعه، ولما لم يقتنع رامي بما قاله، فما كان من هشام إلا أن اقنع نفسه بسياسة الأمر الواقع،

**وذهبا معا ليستمتعا بتلك الليلة، مقتنعًا نفسه أن هذه هـي الطريقـة الوحيدة التي سوف تنسيه داليا.**

**وبينما كان حبيبها ينام على بلاط القسم كانت تتقلب هي في أحضـان رامي، تشق ضحكات انتقامها عنان السماء، وكان هشام يجلس فـي الصالة منتظرًا دوره، وضميره أيضًا كان ينتظر دوره في أن يفيـق، لكنه لم يفيق.**

**دخل هشام إليها بعد أن أخذت حمامًا، فوجد نفسـه لا يبحـث علـى الجنس بقدر ما يبحث عن الانتقام، دون أن يعرف ممن ولماذا ؟!**

**مارس معها الجنس بعنف حيواني مقزز، وكأنه ينـتقم منهـا، لـم يضاجعها بجسده بل ضاجعها بعقله الباطن المشـحون بكثيـر مـن الذكريات الدنسة مع كل اللواتي حطمن قلبه ودسن على كرامته، بـل وراح ينتقم من كل آلهة العجوة التي صنعها الفاسـدون فـي هـذا الوطن، وكأنها ليلة انتقامه الأخيرة، وقد دفعت هذه الفتاة ضريبة كل هذه المتاعب والذكريات المضنية، بل وكل همومه..**

**وصرخت، هرول رامي طالبًا منهما خفض صـوتهما معتقـدًا أنهـا سعيدة، وبعد ساعة خرج هشام سعيدًا ورامي يعتقد أنهـا أعجبتـه، ودخل إليها فوجد ملاءة السرير ممتلئة ببقع حمراء.**

## ( ٢٦ )

لم يعد يفهم هشام ما الذي يفعله في قاهرة المعز سوى أنه يغلق كل الأبواب التي تفتح له، لكنه يغلقها راضيًا سعيدًا، فقد قـدم اسـتقالته لرئيس تحريره من جريدة "الصوت الحر"، وراح يهيم فـي شـوارع وسط القاهرة بلا مستقبل، حتى كان هاتف داليا هو المنقذ لـه مـن ظلامه، حمل صوتها الوهن، زادت دقات قلبه، أصر علـى لقائهـا، وكانت قد عادت من لندن منذ عدة أيام، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يصعد فيها رجل الأدوار العليا لفندق رمسيس هيلتـون، دون أن تعرف بذلك الأميرة هناء، حيث طلبت داليا من الحراسة الخاصـة أن يصعد إليها الطبيب الذي طلبته وهو معها على الهاتف الآن، اندهش هشام كثيرًا لما تحويه حجرتها من عشرات الساعات وعشرات مـن زجاجات العطر على تسريحتها، وكشف دولابها المفتوح عن مئـات الفساتين بكافة أنواعها وماركاتها، فضحك قائلاً:

- إذا كنتِ أنتِ كذلك فكيف تكون أميرتك؟

لكنه لم يعلق على الكاميرا الفيديو في زواية الغرفـة والموضـوعة على حامل، وراح ينظر إليها من حين لآخر ثم اعترف لها بما فعـل وشكى لها عذاب ضميره الذي لا ينتهي بسبب بـريء ملقـى فـي السجن، حاولت داليا أن تريحه من عذاباته وتقلل همومـه، أخبرتـه أنها تعاني عذاب ضمير أيضًا، ولكنه عذاب يفوق بمراحـل عـذاب

ضميره، لأنه يعرف بريئًا ملقى في السجن، بينما هي تتستر على عشرات الجرائم وعلى حفلات تعذيب المصريين، دون أن تنطق.

وراحت تحكي له عن علاقة زكي عبد الوهاب بالأميرة هناء، صعق هشام، لم يصدقها، تحاملت عليه، أرته الفتحة التي تراقب منها كل ما يدور بينهما، والتي طلبت منها الأميرة هناء بنفسها إعدادها لتصوير غرامياتها بكاميرا الفيديو التي يستغرب هشام وجودها منذ دخوله غرفتها، ثم وضعت أسطوانة في جهاز "الدي في دي".

وقف هشام على قدميه مندهشًا وهو يرى زكي عبد الوهاب أسطورة مصر جالسًا بين رجليها.. شاهده كما شاهد عشرات الساسة والفنانين يمارسون كافة الأوضاع الجنسية معها متفوقين على أوضاع كتاب "الكاماسوترا" ذاته. سرح هشام لدقائق، أفاقته داليا وهي تضع يدها على كتفه ليلغى ما يفكر فيه لأنه ليس خبطة صحفية بقدر ما هو تدمير لحياتهما معًا، فهي لا تخشى الطرد أو التعذيب أو القتل، ولكنها تخشى قتله هو، فقد شاهدها تتحكم فيمن يتحكمون في مصير بلد بحجم مصر، فقال هشام بسخرية:

- الآن عرفت لماذا تراجعت ريادتنا.. ولماذا تقدم الآخرون..!

يعرف هشام أن داليا حبيبته، وأنه سيتزوجها رغم كل ما يجري من أمور لا يقبلها منطق، وقد زادت ثقته فيها حين حكت له عما حدث لها من زوج أمها، وأنها تعيش الآن في مستنقع، لكنها لم تبع نفسها لأحد لأنها لا تملك سوى شرفها، لكن لقمة العيش تدفع الإنسان لفعل ما لا يرغب.

قاطعها صوت صراخ وارتطام، أسرعت إلى شرفة غرفتها. وجـدت حبلاً طويلاً ممتدًا من الشرفة المجاورة لهـا فـي الطـابق التاسـع والعشرين حتى الدور الواحد والعشرين، وجثة ملقاة علـى الأرض. كتمت داليا صرختها بينما راح هشام يحاول أن يفهم، الجثة لرجل من خمسة عمال مصريين احتجزتهم الأميرة هناء منذ ستة أشهر رافضة أن يذهبوا إلى أهلهم ومثلت بهم بكافة أنواع التعذيب، جعلتهم يأكلون من بقايا أكل الكلاب الخاصة بها، لا يعرف أهاليهم عنهم شيئًا.. فرد هشام بأنين المجروحين:

- آه يا أميرتي.. أبعد هذا على المرء أن يصمت؟.

قالت: يجب أن تصمت مجبرًا، فقد اشـترت الساسـة والمسـؤولين ورؤساء التحرير.. "يا بني دي اشترت مصر كلها".. وحتـى هـذا الرجل المقطع أشلاءً سوف يسجل على أن توازنه اختل وسقط وهـو ينظف الشرفة.

لمح هشام رجلاً ينظر من شرفة في غرفة الدور الواحد والعشـرين إلى أعلى، تحمل ملامحه وجهًا من وجوه مصر، التي لفحتها شمسها الحارقة، وليس مقيمًا نزيلاً في الفندق. طلب هشام من داليا الخروج حتى لا تحدث أزمة، وكان قد حصل على أسطوانة دي فـي دي دون أن تنتبه داليا لذلك. هبط مع رجل الحراسة الخاصـة حتـى الـدور الأرضي، واتجه ناحية باب الخروج من الفندق ثم عاد مرة أخرى من طرقة محال الدور الأرضي، صعد إلى الطابق الواحد والعشرين. طرق باب الحجرة، لم يرد أحد، سمع صوتًا خلف الباب، طمأنـه وعرفـه

بنفسه وطلب منه فتح الباب، اطمأن الرجل فتح الباب، دخل هشام، جلس معه، استمع إلى قصته كاملة بعد أن أقنعه هشام أنه سيقدم له يد العون:

- اسمي حجاج عبد العظيم أبو مناع جئت من محافظة سوهاج منذ ستة أشهر، كنت أعمل مساعد شيف في فندق جراند حياة، وحين طلب مني أحد مرعوسيّ الانتقال للعمل مع الأميرة هناء فرحت كثيرًا، لكن مع مرور الأيام ذقت القسوة والعذاب: محاولات من فرض السيطرة إلى حد العبودية، قذف بالأكل في وجهي، لطم صباح مساء، منع من الاتصال بأولادي، حبسي مع خمسة من زملائي منهم مساعد لي وعمال نظافة لا يجمعهم سوى أنهم مصريون، في حين أن الخادمات الفلبينيات اللواتي يعملن لديها يعاملن معاملة راقية، ويقدر عملهن، وبعد فترة شعرنا أنها لا تريدنا للعمل بل تريد فقط إهانة مصريتنا، بل وقررت قطع رواتبنا وعدم إرسال أموال لأسرنا.

لم يكن أمامي وزملائي سوى البحث عن متنفس لتحريرنا مما نحن فيه، فألقينا بالرسائل التي طالبنا فيها في زجاجات مياه معدنية فارغة ألقينا بها للمارة في الشارع، تجمهر نفر قليل من الناس بعد أن قرأوا رسائل الاستغاثة، لكن أمن الفندق استطاع تفرقتهم.

في اليوم الذي قررنا فيه الهرب أيقظونا مبكرًا. نزعنا بناطيلنا والقمصان التي نرتديها. ربطناها مكونين حبلاً طويلاً. تقدمت بجرأة الذي لم يعد أمامه بديلاً في الحياة. تعلقت في الهواء، قلت الحياة أرخص من أن تعاش بهذه الطريقة.. وإذا كنا قد ذهبنا لأكل عيشنا

بشرفنا ولم يحمنا أحد في بلدنا فما فائدة الحياة في وطـن لا يـوفر الأمان لأبنائه.. لكن الله أنقذني ولم يكتب النجاة لصديقي.. وحدث ما رأيته.

التقط هشام عدة صور للرجل بكاميرا هاتفه المحمول بعـد أن حفـظ كلامه كله الذي سجله على الهاتف ثم طلب من الرجل الصمت حتـى يستطيع تهريبه، أخبره الرجل بمنفذ الهروب الخلفي الـذي سـيذهب منه.. وعلى هشام الخروج عاديًا لأن أحدًا لن يستطيع الوصول إليه. أثناء خروجه إلى الشارع وعبوره مثل أي مصـري فـي شـوارع العاصمة، راحت عشرات الأسئلة تتردد داخله، عما يحدث له، وماذا لو ترأس تحرير جريدة عبد الكريم ناصيف وعاش ملكًـا، وصـادق الأميرة هناء، ومارس معها الجنس مثل من يمارسون، فساد بفسـاد فهو يمارس الجنس مع فتيات ليل ويعيش حياته، لكنه توقف قلـيلاً أمام نفسه، فهو لم يبع نفسه لأحد، لم يبع شرف الكلمـة، مـارس الجنس مع فتيات يمتهن هذه المهنة، رفض كل الإغراءات لأنه يريد أكل العيش بشرف مثل ذلك العامل الذي وضعه القـدر فـي طريقـه ليكشف له ما خفي عنه، ليريه أن الخلود للأشرف وليس للأغنى.

لم يذهب هشام إلى البيت، لكنه ذهب مباشرة إلـى جريـدة "الحيـاة الجديدة".. قرر أن ينشر كل ما لديه من وثائق أمامها، فقد قرأ أسماء المشاهير المكتوبة على أسطوانات "الدي في دي" التي لدى داليا ولم يجد اسم رئيس تحرير "الحياة الجديدة" ضمنها، ولا رئيس تحريـره، وهذا ما أدهشه..!

# ( ٢٧ )

قرأت في النشرة الداخلية أنه قد تحدث آثار غير مرغوب فيها بنسبة ٢% نادرًا ما تحدث في صور صداع، احمرار الوجــه، اضــطرابات المعدة، انسداد الأنف، إسهال، التأثير المؤقت على رؤيــة الألــوان، زيادة حساسية العين للضوء و الرؤية الواضحة.

تقرأ بينما صورته، قد وضح فيها كل هذه الأشــياء، لكــن مــا زاد دهشتها حين خروجه من الحمام وهو مازال منتصبًا مفاخرًا برجولته أمامها بأنه يستطيع فعل أي شيء، فقرأت في النشــرة الداخليــة : "يجب الاتصال بالطبيب إذا استمر الانتصاب أكثر من أربع ساعات".

نسرين واحدة من غانيات رامي اللواتي اعتاد تأجيرهن للعرب، فهذه هي المهنة الجديدة التي اختارها لنفسه بعد أن فصل من الشــرطة، وراح يعيش حياة بوهيمية، يتصرف تصرفات غريبة ليثبت أنه لايزال بقوته ولايزال مسيطرًا على الناس، قام بتكوين شبكة من بنات الليل لإقامة علاقات مع شيوخ وأمراء من دول الخليج مقابل حصوله على ٥٠% من دخلهن، وراح يورد العديد من الفتيات إلى دول الخلــيج، كما راح يجلبهن إلى الفنادق، ويعرض صــورهن علــى مــن يريــد ويختار من يريدها لتقضى ليلتها معه أو أسبوعها، لكنه لــم يكتــف بالأموال التي تنهال عليه من كل حدبٍ وصوب، فبــدأ فــي ضــرب النساء وتعذيبهن بكل الطرق حتى يحكم سيطرته عليهن، بل ووظفهن

في سرقة الأشياء الذهب والهواتف المحمولة من هذه الشخصيات، وهى هواتف بعضها مرصع بالذهب وأسعارها تتجاوز عشرات الألوف إضافة إلى الساعات الألماس وغيرها، ودربهن وعلمهن على سرقة كل ما قل حجمه وغلا ثمنه.

لكن نسرين كانت أكثرهن رغبة في الانتقام منه، فقد تعرف إليها في شارع قصر النيل في وسط البلد حين كانت ذاهبة لشراء بعض حاجياتها، وعدها بالزواج والحب، لكن لم تكن وعوده إلا سرابًا وأوهامًا، ثم أجبرها بعد ذلك على ممارسة الجنس مع خليجي أعجبته حين رآها معه ذات يوم، راحت تمارس الجنس بدم بارد، ودون إحساس سوى الرغبة في الانتقام من رامي، فكرت في طريقة انتقام لا يثبت عليها من خلالها أي دليل، فهي تعلم أن رامي لا تفارق الفياجرا جيبه أو سيارته أو شقته، لذا اشترت علبة من الصيدلية، وضعت له حبتين في كوب شاي، وبعد أن مارس معها الجنس ظل عضوه منتصبًا؛ وظلت تعاتبه على أن الله أكرمه بدل السيارة سيارتين BMW، ولديه أموال في البنك فلماذا لا يستثمر هذا في مشروع حلال ويكف عن لعب دور القواد، ويتزوجها، لكنه سخر منها وكيف أن تفكيرها أوصلها إلى أنه من الممكن أن يتزوج مثلها، فهو حين يقرر الزواج سوف يتزوج من فتاة ذات حسب ونسب وثراء، فتاة لديها مال مثل أموال قارون.. كنز لا ينفد، فالمال له هيبته وسطوته، وقد أراحها كثيرًا اعترافه، وقتل الندم الذي تبقى داخلها على ما فعلته فيه، لكنه طرحها أرضًا وظل يمارس معها

الجنس لأكثر من ساعة محاولا القذف دون نتيجة، حتى وقـع علـى ظهره.

نهضت نسرين، أخذت حمامًا باردًا، جمعت كل متعلقاتها، محت كل ما يدل على أنها جاءت إلى هذا المكان، تركت علبة الفياجرا بجـواره، جمعت شعرها المسدول خلفها في حجاب، وأغلقت هواتفـه الثلاثـة ورفعت سماعة البيت ثم أغلقت عليه باب شـقته ليواجـه مصـيره المحتوم، لكنه كان سيئ الحظ إذ قدر له أن يعيش، فقـد قـدم أحـد شيوخ الخليج بلاغًا إلى شرطة السياحة روى فيه أن رامي جلب لـه فتاة مارست معه الجنس، ثم سرقت منه هاتفه المحمول، وسـاعته الألماس، وعشرين ألف دولار، ومن ثم تحرت الشرطة وهاجمت شقة رامي، ولما لم يفتح تم كسر الباب وتمت إفاقته وعضـوه منتصـبًا، هبط هكذا إلى سيارة الشرطة، وكانت فضيحة العار فيها أطول مـن العمر المترف.

جيء بالطبيب، وبعد أن أسعفه أعترف بكل ما فعل ليجد نفسه متهمًا بالقوادة وسجينًا بقسم العمرانية لانتهاء التحقيقات مع الشاب البريء الذي ألقى به في السجن من أجل عيون فتاة ليل، وعرف السـجناء أنه قادم بتهمة "القوادة" فتعاملوا معه كما يجب أن يُعامل القواد.

## ( ٢٨ )

وكأن القاهرة كانت على استعداد لمن يناديها: "اخرجي يا مصر آن الأوان". كل شيء كان متحفزًا في انتظار من يدفع الباب في انتظار فؤادة، لتلف الساقية وتروي الأراضي العطشى وتمحو " شيء من الخوف" داخل نفوس المصريين، وترد لهم ما سرق من أعمارهم وأعمار أجيال ستأتي من بعدهم..

فلم ينتظر رئيس تحرير "الحياة الجديدة" حتى راح يرسم التحقيق على صفحتين بصور من الدي في دي، وصور العامل وقصة مجيء الأميرة هناء إلى مصر واحتلالها لها رغم طردها من أغلب الدول العربية، لكن كيف تصحو وتعزف سيمفونيتها الخاصة بها راسمة وجهًا آخر للوطن، تدوس على كل من يحاولون سرقة القمر من سمائها وقتل أسراب العصافير التي تعبر نيلها كل نهار مؤملة بفجر جديد؟

تنام مصر في قيلولة طويلة بعد ما توقف زكي عبد الوهاب على النيل ببندقيته الخاصة، محاولاً اصطياد كل أسراب العصافير وقطع ألسنتها، تغريدها يسبب له الأرق ليل نهار، وإن لم يقبض عليها ويقطع ألسنتها، فليروعها ويلقى في وجهها فزّاع الطيور لتهاجر بحثًا عن وطن آخر تحلق فيه وتغرد في سمائه، لكن من قال إن العصافير تستطيع أن تترك النيل وتترك أرضًا وهبها الله كل شيء؟.

أحلام زكي عبد الوهاب تفوق أسراب العصافير، فهو لا يريد أن يغرد ويفرد جناحيه فوق النيل، هو يريد امتلاك النيل.. امتلاك كل شـــيء؛ الأخضر واليابس، يريدها أن تكون مصـــره هــو لا مصـــر الشـــعب والبسطاء، ففي صباح نشر التحقيق الصحفي علـــى صــفحتين فـــي جريدة "الحياة الجديدة" مبشرًا في نهاية الصفحتين إلـــى أن الحلقـــة المقبلة تكشف بالوثائق محاولات زكي عبد الوهـــاب تـــدمير مصـــر واحتكاره لأدوات الصناعة في مصر، وتلاعبه في البورصة وتربحـــه ملايين الأسهم، كما ينشر تفريع لكلامه عن الرئيس ونجله.

من شرفة بيته المطل على نيل القاهرة راح زكي عبد الوهاب يدهس سيجارة بقدمه مقررًا أن كل من يعترض طريقه يجب أن يُفعص بهذه الطريقة، لكن تلك القدم لم تخف احمرار عينيه وشعره غير المهـــذب وتوتر أصابع يديه، والهم البادي على وجهه كأنه لم ينم منذ عشرات السنين.

أخرج هاتفه المحمول و طلب أحد رجاله، ولم تمر ساعة على هـــذه المهاتفة إلا وكان هشام عبد الحميد العابر شوارع وسط البلـــد غيـــر آبه لشيء كعادته، يفاجأ بسيارتين جيب تحاصرانه مـــن الجـــانبين، تلتقطه إحداهما بعد ضربه على رأسه، ليجد نفسه ملقيًا على الأرض، مكبل اليدين في إحدى غرف فندق رمسيس هيلتون، ذهب زكي عبد الوهاب منزعجًا إلى الفندق، عابرًا عبر دروبه في ضيق، لا يرد على أحد تحيته حتى وجد نفسه في مواجهة الأميرة هناء فـــي الســـويت الخاص بها، صارخًا فيها لأنها استبقته وخطفت هشام قبله، ولأنهـــا

احتفظت بالمستندات الخاصة به وبالصفقات التي سهلت له اقتناصها، ووضعت صورة من كل هذه المستندات على أسطوانة مع تسـجيلات صوتية له يسب فيها الكبير والصغير، وتسجيلات فيديو يمارس فيها الجنس معها، ويحكي لها عن أحلامه في الجلـوس علـى كرسـي الفرعون. تجاوز صوتهما الجدران في معركة كلامية لتخبره الأميرة هناء أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها التحكم فـي كـل من يحاول التمرد عليها بعد ذلك أو الشبع منها.

هي فقط التي تقرر متى تشبع ومتى تنهى علاقتها بشخص ما ؟

لا تزال الأميرة هناء - حتى هذه اللحظة - تعتقد أنْ ليس هنـاك مـا يدينها.. فسوف تقوم بتركيب عدة أفلام جنسية للعديد من الشخصيات لتكشف أن هذا السي دي مفبرك، مثل السي دي المنشور.

سخر منها زكي عبد الوهاب:

- لقد انتهت أسطورتك المزعومة.. وأنا أيضًا، ولا أعتقـد أن أحـدًا سوف يتركك.

هكذا قال وهو يفرك يديه، بينما ضحكت وهى تناوله عدة صور:

- هذه صور الواد الصحفي مع عبد الكريم ناصيف في لندن، والتـي تستطيع أن تؤلف عشرات الحكايا عليها، لدي ولديك عشـرات مـن الأقلام التي ندفع لها كل شهر، هل نسيت السيارة التـي اشـتريتها لرئيس تحرير جريدة "النور"، والشقق والشاليهات.. هل نسـيت مـا كنت أدفعه لهم؟!

لم يعلق عبد الوهاب على كلامها.. فقط نظر في عينيها، وهو يطلب منها أن تغادر مصر خلال ٦ ساعات بالكثير، وإلا فحياتها سوف تنتهي، ثم بعد الفضيحة الجنسية المنشورة لها في "الحياة الجديدة" لن يجرؤ أحد من عائلة زوجها على الوقوف بجوارها.. دي مسألة شرف يا برنسيس..

- نسيت نفسك يا زكى.. أنا اللي عملتك.

صرخت فيه ثم أردفت:

- أريد أن أريك مسائل الشرف أيضًا.

ذهب معها إلى الغرفة الملقى فيها هشام ليراه عاريًا من ملابسه، يتناوب ثلاثة رجال من حرسها اغتصابه، بينما هشام يقاوم ويصرخ ويسب والدم يسيل من فمه، صرخ فيها زكي عبد الوهاب بأنها انتهت.. انتهت تمامًا.. ده صحفي.. عارفة يعني إيه صحفي؟

- يعني شيئًا واحدًا يا حبيبي، سوف تراه خلال دقائق خمس.

ثم سحبته وراءها وهو ينظر خلفه لما يحدث، هدأت من روعه. طلبت له عصير ليمون ليحاول السيطرة على أعضائه ومشاعره، بعد دقائق جاءتها مهاتفة تخبرها بكلمة واحدة:

- تمام يا سمو الأميرة.

فتحت الـ"لاب توب" الذي أمامها. دخلت على الانترنت. فتحت موقع اليوتيوب. كتبت "الصحفي الـ GAY" "هشام عبد الحميد، وإذا بزكي عبد الوهاب يلقى بعصيره من يده ويقف مصعوقًا، فما كان يراه من دقائق في الفندق يراه الملايين في كل العالم على اليوتيوب الآن.

نقلت القنوات الإخبارية خبر اختطاف الصحفي هشام عبد الحميد بعد القضية التي فجرها. استعرضت قناة "الجزيرة" تقريرًا مطولاً عن حياة هشام وتاريخه الصحفي. استضافت قناة "العربية" رئيس تحرير "الحياة الجديدة" ليروى تفاصيل الواقعة وما تحت يده من مستندات. كشفت الــ BBC "غياب الأمان في مصر إزاء اختطاف صحفي من شوارع وسط القاهرة في عز النهار. هذا على الرغم من انشغال كل الفضائيات بالقضية الأهم وهي الحكم على عبد الكريم ناصيف مالك العبارة بالبراءة، ولطم وبكاء أهالي الضحايا في شوارع جنوب مصر حيث جرت المحاكمة وفقد ذوو الضحايا المنكوبين شعورهم بالأمان، وتبدلت ثقتهم في الهيئة القضائية إلى ذعر مخيف، ونقلت الفضائيات صرخاتهم وأناتهم، إلا أن كل هذا لم يغط على قضية اختفاء هشام عبد الحميد.

هرول عامل من عمال عمارة دوحة ماسبيرو ليخبر عدنان أنه شاهد صديقه الذي جاء معه مرة إلى المبنى فاقدًا للوعي محمولاً لدى رجال أقوياء عبروا به من الباب الخلفي للفندق.

سارع عدنان إلى مكتب قناة الجزيرة الذي يقع في نفس البناية – دوحة ماسبيرو – وأخبرهم بالخبر الذي نقلته قناة الجزيرة على الفور، واستضافت العامل وعدنان ليتحدثا عن شرف ونزاهة صديقه ويحكى لهم قصته مع عبد الكريم ناصيف، في الوقت ذاته الذي كانت داليا تُصعق بالكهرباء في مناطق حساسة من جسدها، وهناء تقول لها: سوف أجعلك تموتين ألف مرة.

في ذات اللحظة أيضًا كان طارق التلمساني، الذي سافر مع رئـــيس التحرير وهشام إلى لندن يضع البروفات النهائية لصدور العدد الأول من جريدة "الحق"، ويعلن في العديد من الصحف بداية البث التجريبي لقناة "الحق" أيضًا، ويهاتف عبد الكريم ناصيف ويطلب منه العــودة في أي وقت إلى وطنه الأول والأخير مصر..!!

أثناء استعدادات عبد الكريم ناصيف وحزم حقائبه للعودة إلى مصـــر أوقفته مهاتفة من مصر عن كل ما عقد نيته عليه، فقد هاجم أهـــالي الضحايا شركته الخاصة بالملاحة البحرية ودمروا كل ما فيهـــا، ثـــم هاجموا فيلته وأشعلوا فيها النيران، وكذلك الشركات الأخرى الخاصة به، ولم يستطع أحد اعتراضهم.

لم يصل خبر ما نشر في "الحياة الجديدة" إلى الـــرئيس، فقـــد كـــان رجاله يحملون ترددهم كالعادة في حجب ما ينشر عنه حتى لا يعكـــر مزاجه، أو وضع كل الحقائق أمامه ونجله، لكن صهر الرئيس جـــاء دون موعد إلى قصر الرئاسة. سأل عن الرئيس ثم صعد إليه وفـــى يده صحيفة "الحياة الجديدة" قرأ الرئيس ما كتـــب. أصـــدر أوامـــره بإخراج الملفات الخاصة بالأميرة هناء وزكى عبد الوهاب والقـــبض عليهما. فقد كشف أن الأميرة هناء تلعب لعبة مخابراتية تتفوق بهـــا على ماتهارى، وكشف عن علاقتها برجل المخابرات الأمريكية القوى وتسجيلات لمكالماتها التي لم تراع فيها الحرص ظنًا منها أنها أكبـــر من الجميع.

على الرغم من أن الأميرة هناء فعلت ما أرادت إلا أنها أصرت علـــى إذلال هشام أكثر وأكثر، أعطت إشارتها إلى مغتصبيه. ذهبت وزكـــي عبد الوهاب مرة ثانية إلى غرفته، لأنها تعرف كـــم الألـــم والعـــذاب والإذلال لاغتصاب رجل في وجود امرأة.

ضحك هشام ساخرًا رغم ألم الاغتصاب والعرق المتساقط مـــن كـــل أجزاء جسده، اغتاظت الأميرة هناء، وقف زكي عبد الوهاب واضـــعًا يديه في جنبه وسأله عما يضحكه، فقال له هشام:

- إنني أتساءل لماذا لم يغتصب عمرو بن هشام أو أحد أتباعه عمار بن ياسر وأهله، فقد عذبوهم وصفدوهم ووضعوا الحجـــارة الكبيـــرة على أجسادهم، ولم ينبث أحد منهم ببنت شفة، فقد نسوا أجســـادهم وبقوا بأرواحهم مع الله، ومع ذلك لم يفكروا في طرقكم العصرية في التعذيب، رغم أنهم كانوا في الجاهلية، فليت أبا جهل يـــأتي ليـــتعلم منكم، ويأتي عمه الوليد بن المغيرة حتى لا يندهش لما فعلـــه ابـــن أخيه بآل ياسر لأنه أمر عادي إزاء ما تفعلون بإنسان له مبادئ وقيم يريد الحفاظ عليها، لكنكم لا تريدون، وتظنون أن مصر ستظل تحـــت إمرتكم تفعلون فيها ما تريدون، لكن الشعب المصري رغـــم صـــمته المهين، فإن يقظته زلازل وبراكين.. ولن يقف قبالته أحد.

بينما كان هشام يلقى عليهم خطبته العصماء، وكلماته التي تخرج من بين آلامه كانت تتعالى أصوات أمام هيلتون رمسيس تسد الشارع، لا يبين نهايتها، بتحريض من عدنان وشادي، هرول عبد الوهاب وهناء لينظرا فإذا ميدان عبد المنعم ريـــاض لا يظهـــر مـــن آلاف النـــاس

المتجمعة التي راحت تهاجم الفندق وتدوس كل ما يعترض طريقهـــا، صعد في الأسانسير من صعد، وجرى على السلالم الخلفية من جرى، ووقف أمن الفندق مع الناس واتحد معهـــم ودلهـــم علـــى الطـــرق الصحيحة للوصول إلى الأدوار الأخيرة التي تسكنها الأميـــرة هنـــاء، دارت معركة عنيفة بين الحرس الأمريكي والشعب القادم كالطوفـــان، وقد أدرك الحراس أن هؤلاء الناس لو تمكنوا مـــنهم فســـيجعلونهم طعامًا للكلاب.

الكلاب الأمريكية الضخمة بسطت رجليها ونامت على قدميها حيـــث ألقى لها أحد الحراس المصريين بأرغفة بها سم، حين سمع صـــهيل الشعب في الشارع، ثم تقدم عدد كبير من الناس مـــن زكـــي عبـــد الوهاب والأميرة هناء وهم يهرولون أمامهم، حتى أمســـكوا بهمـــا، وألقوا بهما من الطابق الأخير مـــن الفنـــدق، ولـــم يســـتمعا إلـــى استغاثاتهما وتوسلاتهما طلبًا للعفو والتوبة النصوحة.

نظر الرئيس من شرفة بيته فرأى دخانًا يتصاعد بقوة من ميدان عبد المنعم رياض، ظنَّ أن مصر تشتعل بثورة شعبية فأوصد باب غرفته عليه وصمت.





# سامي كمال الدين

- § كاتب وإعلامي مصري من مواليد محافظة قنا – جنوب مصر
- § تخرج من كلية الآداب قسم الصحافة بسوهاج ، عام ٢٠٠١
- § يعمل صحفيًا بمؤسسة الأهرام (مجلة الأهرام العربي)
- § مدير مكتب مجلة الدوحة في القاهرة
- § عضو نقابة الصحفيين
- § عمل رئيسا لتحرير مجلة داون تاون ، مجلة شبابية تعنى بالقضايا المحلية وهموم الشباب ومشاكلهم
- § عمل أثناء دراسته الجامعية فى العديد من الصحف والمجلات ومنها الحياة والجيل والقاهرة وسطور والراية والصدى وصوت الأمة
- § عمل في مجلة نصف الدنيا من ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٣
- § حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين المصرية عام ٢٠٠٣ عن كتابه عن الفنانة شادية الذي نشر مع مجلة نصف الدنيا
- § حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين لعام ٢٠٠٦
- § تم تكريمه في صالون غازي الثقافي العربي عن أعماله المتميزة مع مجموعة من المفكرين والمثقفين والفنانين

- يكتب في العديد من الصحف مثل المصري اليوم والكرامة
- يكتب مقال أسبوعي كل خميس في جريدة "المصريون"
- تم اختياره مع ٧٥ صحفيًا من ٥٠٠ صحفي للمشاركة في الدورة الأولى لمؤسسة محمد حسنين هيكل ، والتي أشرف عليها الصحفي الشهير سيمور هيرش. كما اجتاز الاختبارات في الدورة الثانية التي عقدتها مؤسسة محمد حسنين هيكل ، والتي عقدت لشهر كامل ، وفاز مع ١٠ من زملائه الصحفيين من ٢٥ صحفيًا بمنحة السفر إلى لندن
- انفرد بلقاء خط الصعيد المتهم بقتل ١٥٠ شخصًا وزراعة الأفيون وهو محاصر في قلب الجبل.. ونشر في مجلة الأهرام العربي بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٧.. وفى عام ٢٠٠٦ زاد عدد ضحاياه وحاولت العديد من الصحف لقاءه؛ ولم يستطع أحد لقاءه ، لكنه التقاه وأجرى معه حديثًا نشر في جريدة المصري اليوم على حلقتين في ٢٥ و٢٦ /٩ /٢٠٠٦
- كتب فيلمًا تسجيليًا عن الفنانة سامية جمال ودورها الفني والسياسي من إخراج سعيدة بو كمال – مخرجة فرنسية من أصل جزائري – وإنتاج خالد عبد الرحمن الخميسي ، ويذاع في القناة الخامسة الفرنسية وتلفزيونات بريطانيا وإيطاليا واليونان وتركيا.
- قام بالتقاط الصور الوحيدة للحادث الإرهابي لتفجير ميدان عبدالمنعم رياض ، والتي بثتها وكالة الاسوشيتدبرس وعرضتها أغلب التلفزيونات في العالم ، ونشرتها الصحف العربية والغربية ، والغريب أنه التقط هذه الصور بكاميرا هاتفه المحمول.

- أجرى عشرات اللقاءات السياسية والفكرية مع مثقفين ومفكرين وساسة وفنانين . وانفرد بنشر عدة حوارات مع الفيلسوف الكبير عبد الرحمن بدوى قبل رحيله نشرت في مجلة نصف الدنيا .
- أجرى الحوار الوحيد الذى نشر مع الدكتور ممدوح حمزة الذي ألقت شرطة اسكوتلانديارد القبض عليه في لندن متهمة إياه بالتخطيط لاغتيال أربعة وزراء مصريين ، وقد استعانت جهات التحقيق بمحتوى الشريط بعد تفريغه .
- الإصدارات :

  - حوارات من جنوب الوطن المنسي : يتضمن حوارات مع بعض كتاب وأدباء من جنوب مصر .
  - أيام مع الولد الشقي : ذكريات مع الكاتب الكبير محمود السعدني . عن دار أخبار اليوم .
  - نزار قباني وروائع القصائد المغناة .. أسرار وحكايا نجوم الفن مع نزار : عن دار الكتاب العربي .
  - الذين أضحكوا طوب الأرض : عن دار الكتاب العربي .
  - رسائل المشاهير : شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠٠٩
  - هيلتون : رواية . شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٠
  - موبيل زكي رستم: مقالات. شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٠

- البريد الإلكتروني : samy_585@yahoo.com

samykamaledeen@yahoo.com




(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net